

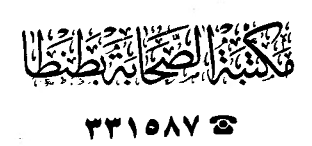
الزهد

للإمام أبي عبد الله القرطبي
صاحب التفسير

وهو
(القسم الثالث)
من كتاب

قصر الحرص بالزهد والقناعة
ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة

تحقيق
مجدي فتحي السيد

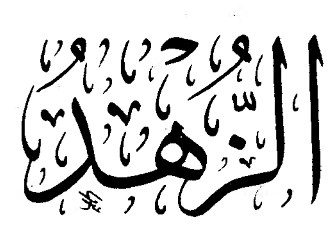


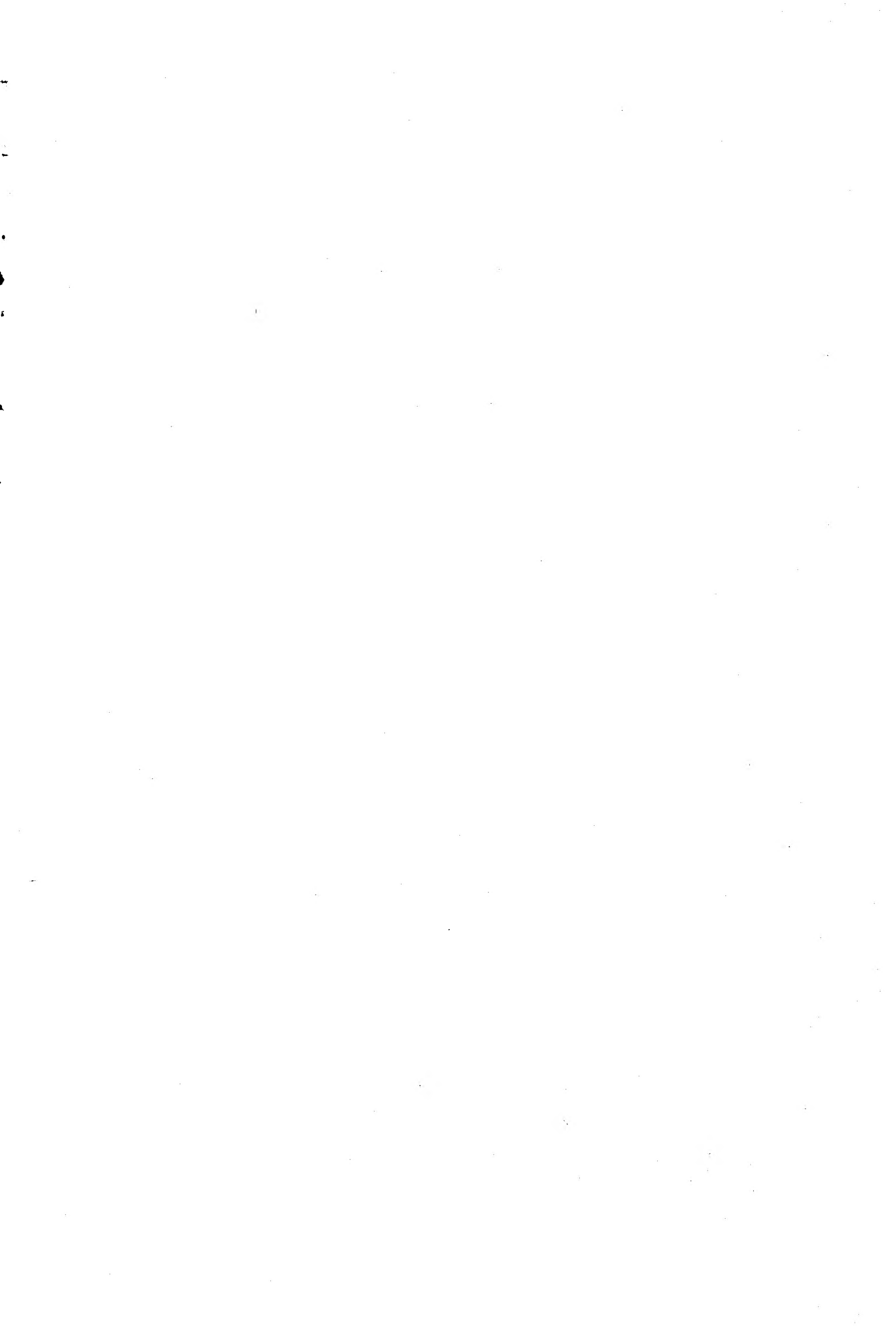
☎ ٣٣١٥٨٧

كتاب قد حوى دررًا بعين الحسن ملحوظة
لهذا قلت تنبيهًا

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م

مكتبة الصحابة - طنطا
ت : ٣٣١٥٨٧
شارع الجنبية الغربى - بجوار محطة القطار
خلف المعهد الأزهرى


الزهد





مقدمة الناشر

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَاأَيُّها الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1] .

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً واتَّقُواْ اللهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[2] .

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[3] .

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

وبعد .

بحمد الله وتوفيقه تقوم المكتبة بإعداد سلسلة كتيبات طيبة لإحياء الفضائل التى ربما تكون قد اندثرت فى هذا الزمان على أن تكون بأسلوب ميسر كلما

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٢ .

(٢) سورة النساء : ١ .

(٣) سورة الأحزاب : ٧١ .

أمكن ذلك ليتسنى لطالب العلم أن يستفيد منها .

ومنهجنا فى هذه السلسلة :

[١] أن تكون لعلماء السلف الصالح كلما أمكن ذلك .

[٢] أن تكون من المخطوطات التى لم تنشر من ذى قبل .

[٣] أو نصنف إن لم يتيسر الحصول على مخطوطات فى نفس الموضوع .

[٤] أن تتحلى بقواعد التحقيق العلمى الحديث .

[٥] أن تكون فى متناول يد الجميع من حيث الموضوعية والسهولة .

وهذه السلسلة تحت اسم« **من صفات عباد الرحمن** » ومن موضوعاتها : الحياء – الورع – التقوى – الحب – التواضع – التوكل – الإيثار وحب الخير – المروءة – الوفاء بالوعد والصدق فى العهد – الكرم والسخاء – السماحة – العفة – صلة الرحم – القناعة – الوقار والسكينة – الإصلاح بين الناس – طيب الكلام – وغير ذلك يسر الله إتمامه وقد يسر الله للأخ المكرم : مجدى فتحى الحصول على مخطوطة لم تطبع من قبل ذلك للإمام القرطبى تتضمن بعض هذه الموضوعات ، واسمها : « **قصر الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة** » .

فرأينا تقسيمها إلى ١ – قصر الحرص ٢ – القناعة ٣ – الزهد حيث إن هذه الموضوعات هى الموضوعات الرئيسية وقد أفرد المؤلف رحمه الله كل موضوع على حدة بالتفصيل فرأينا من تمام الفائدة أن تكون من ضمن « **سلسلة من صفات عباد الرحمن** » وهذا الموضوع الذى نحن بصدده « الزهد » يبدأ بالباب الثامن والعشرين من تقسيم الكتاب وينتهى بالباب المتم الأربعين .

أبو حذيفة

إبراهيم بن محمد

وصف مخطوطة الكتاب

توجد مخطوطة هذا الكتاب فى دار الكتب المصرية العامرة برقم (٢١٨) مجاميع مصطفى فاضل على ميكروفيلم برقم (٥٣٣٩) . وتتألف هذه المخطوطة من (١٤٨) صفحة ، فى كل صفحة (١٩) سطرًا .

وخط المخطوطة ردىء جدا ، وفى بعض الصفحات توجد بعض الكلمات المطموسة ، أو التى سقط عليها المداد ، فغيب معالمها .

ولقد نسب هذا الكتاب أكثر من عالم إلى الإمام القرطبى ، من هؤلاء الزركلى فى الأعلام (٣٢٢/ ٥) وفى طبعة أخرى (٢١٨/ ٥) .

وزاد من نسبة الكتاب قول المصنف انظر إلى تفسير هذه الآية فى كتابنا الجامع ، أو تكلمنا عن هذا الأمر بسعة فى التفسير .

ولقد كتبنا هذه الكلمات على عجالة ، ولتمام الفائدة عليك بالرجوع إلى الجزء الأول من الكتاب ففيه مزيد ، وبيان .

[illegible] محمد بن [illegible]

[illegible] الانصاري [illegible] رحمه الله تعالى [illegible]

وقال بعضهم

اضحت حوائج [illegible] مصقولة [illegible] الوصال

[illegible] حتى [illegible]

وقال جابر بن عبد الله الانصاري يا جابر من كثرت نعم الله عليه

كثرت حوائج الناس اليه فمن قام بما يجب لله فيها عرضها الله للدوام

والبقاء ومن لم يقم فيها بما يجب لله عرضها للزوال

مقدمة المحقق

فهذه تقدمة بين يدى كتاب الزهد للإمام القرطبى ، نحاول بها أن نيسر مهمة القارئ فى الدخول إلى الكتاب ، وتشتمل على التالى :

١ – بين يدى الكتاب .

٢ – الزهد بين الاتباع والابتداع .

٣ – كيفية الزهد وأقسامه .

٤ – علامات الزهد .

٥ – درجات الزهد .

٦ – المؤلفات فى الزهد .

يعلم الله – عز وجل – كم حاولت الصواب ، ولكن أبى الله – تبارك وتعالى – أن يكون الكمال إلا لكتابه ، فسبحان من له الكمال ، فأرجو من الله – جلت قدرته – أن يكون عملى فى هذا الكتاب رجاء ثوابه ، وأن يغفر لى ما كان من زللى ، إنه على مايشاء قدير .

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصلاحَ مااسْتطعتُ وما تَوفيقى إِلَّا بالله عليه توكلتُ وإليه أُنيبُ ﴾ .

أبو مريم

مجدى فتحى السيد إبراهيم



بين يدى الكتاب

فى هذا العصر الذى تلهف الناس على الشهوات ، ونسوا لقاء الله ، و لم يعملوا على الاستعداد ليوم الرحيل ، نجد هذا الكتاب يطلب منا أن نقف ونتساءل :

هل هكذا كان يحيا النبى ﷺ وأصحابه ؟

هل من الإسلام أن ينشغل العبد بدنياه عن آخرته ؟

ولكى يجيب كل واحد على هذين السؤالين سيجد أن الإجابة على الأول هى : إن الناس تركوا الصالحات الباقيات ، وتركوا فضائل الأعمال ، ورغبوا فى الحياة الدنيا ، حتى إن البعض منهم كره الخروج من الدنيا ، وما هكذا كان يعيش الرسول - ﷺ - بل كان يدعو ربه بالليل والنهار ، وعند الأسحار ، بقوله - ﷺ - « **لا تجعل مصيبتنا فى ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا** »[1] .

ومن هنا ينبع الفرق بين العهد النبوى والعصر الحديث ، الذى يسمى بعصر الصاروخ ، والذرة .

حقًا لقد وصل الإنسان إلى عالم الأفضل فى التنعم والترف ، والفكر والاختراع ، ولكن هل ذلك يغنى شيئا عن العمل ليوم الرحيل .

لقد انتصر أصحاب النبى - ﷺ - على الفرس والروم ، وصاروا سادة الدنيا ، ومع ذلك كانت الدنيا أحقر إلى أحدهم من أن يبيع دينه بها ، كانوا ينظرون إلى الدنيا على أنها قنطرة توصلهم إلى جنة الله ، ففازوا فوزًا

---

(١) أخرجه الترمذى (٣٥٦٩) فى الدعوات ، والحاكم بنحوه (١/ ٥٢٨) ، قال الشيخ الألبانى - حفظه الله - إسناده حسن .

عظيما .

أما اليوم فلقد انتصرت الدنيا على العباد ، واستولت على قلوبهم ، وشغلتهم عن معبودهم ، حتى صار الواحد من العباد لا يعرف شيئا إلا مطعمه وملبسه .

أما الإجابة على السؤال الثانى فنقول : ليس من الإسلام فى شىء أن يتلهى العبد بدنياه عن مولاه . فالتعاسة والشقاء ، والضنك ، والهم ، لمن فعل ذلك ، وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِى أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى** ﴾[1] .

ففى هذا الكتاب الذى بين أيدينا الآن نجد الإمام القرطبى – رحمه الله – يعرض لنا صورة الزهد فى حياة النبى ﷺ ، وأصحابه .

ونجد فيه تفنيد شبهة أن الزاهد لابد له أن يكون فقيرا مسكينا .

ونجد فيه الرد على من افترى على الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف – رضى الله عنه – وادعى أنه يدخل الجنة حبوا .

ونجد فيه الصورة المثلى للزهد والزهاد .

ونجد فيه من صور بذل الصحابة للأموال فى سبيل الله ، ما يوضح لنا حقيقة أن الزهد ليس معناه أن لا تملك شيئا فى الدنيا ، ولكن معناه أن لا يملكك شىء ، ولا يسيطر عليك ، ولا يحركك فى هذه الدنيا ، إلا منهج الله تبارك وتعالى .

وفى نهاية الكتاب يتكلم المؤلف عن مبحث هل يجوز قبول جوائز السلطان لمن جلس يعلم العلم ، وتفرغ له .

والحمد لله رب العالمين .

---

(١)سورة طه : ١٢٤ – ١٢٦ .

الزهد بين الاتباع والابتداع

عرّف اللغويون الزهد بأنه خلاف الرغبة ، فيقال : فلان يرغب فى كذا ، وفلان يزهد فيه . والزهد فى الشىء يعنى بالدرجة الأولى عدم إرادته ، أما الرغبة فهى من جنس الإرادة ، ومن زهَد فى شىء لم يرده ، ومن رغب فيه فقد أراده .

وقد تزهد النفس فى الشىء مع امتلاكها له ، وذلك لأنها فى الحقيقة لا تريده ، ولكن ذلك لا يعنى أنها لا تحبه ، أو أنها تنفر منه .

قال الإمام ابن تيمية – رحمه الله –: الزهد فى الشىء انتفاء الإرادة والكراهة ، بحيث لا يكون مريدًا له ، ولا كارها له ، وكل من لم يرغب فى الشىء ولا يريده فهو زاهد فيه[1] . انتهى .

وانطلاقًا من هذا المفهوم نجد أن منهج الرسل يقوم أساسًا على الزهد فى الفضول من الدنيا ، أو جعلها غاية بدلًا من أن تكون وسيلة ، ولكن من الناحية الأخرى نجد أن منهج الزهد الإسلامى يقوم بالترغيب فى كل ما رغَّب الله ورسوله ﷺ فيه ، ولهذا فهو أصح المناهج فى مفهوم الزهد فى الدنيا .

فالزهد المحمود شرعًا هو ترك ما لا ينفع العبد فى الآخرة ، أو كما يقول الإمام ابن تيمية – رحمه الله –:

(الزهد المشروع هو ترك كل شىء لا ينفع فى الدار الآخرة ، وثقة القلب بما عند الله)[2] .

---

(١) الفتاوى (١٠/ ٦١٦) .

(٢) الفتاوى (١٠/ ٦٤١) .

ومن هنا نعرف أنه ليس من الضرورى أن يكون الزاهد فقيرا ، أو مسكينا ، بل قد يكون غنيا وصاحب جاه ، لأنه - كما ذكرنا - لا منافاة بين كون العبد يملك الشيء فى يده ، ومع ذلك يزهد فيه .

وما أروع خطاب المولى - تبارك وتعالى - لعباده المؤمنين : ﴿ **وابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِى الأَرْضِ** ﴾[1] .

فعندما نبحث فى سيرة أصحاب النبى ﷺ نجد أنهم كانوا - وذلك لدى البعض منهم - على قدر كبير من الثراء ، ولكن أموالهم كانت كلها قربى إلى الله تبارك وتعالى .

وفى ضوء ما تقدم نستطيع أن نفرق بين الزهد المحمود شرعًا ، والمذموم ، فالنبى ﷺ كان من أزهد خلق الله ، ومع ذلك كان لا يرد موجودًا ، ولا يتكلف مفقودًا ، يلبس ما تيسر له من أنواع اللباس من قطن أو صوف ، وكان ينكر على من أراد أن يختصى ، أو أراد الانقطاع عن الناس والحياة بحجة الزهد ، ويقول فى صوت عالٍ حفظه لنا أصحابه حتى وصلنا : « **والله إنى لأخشاكم ، وأتقاكم لله ، ولكنى أصوم وأفطر ، وأتزوج النساء** » .

نعم هذه هى سنة المعصوم ﷺ ، ومن رغب عنها فليس من أتباعه . أما ما نقرؤه أو نسمعه عن الزهد بمعنى الانقطاع عن الدنيا بترك الأهل ، والمال ، والأولاد ، فليس من الزهد فى شيء ، والإسلام منه براء ، لأن الله أخبر عن رسله أنهم كانت لهم أزواج وأولاد ، والإنفاق على الأهل والولد من الواجبات الشرعية ، التى يأثم تاركها ، فكيف يكون الواجب أو حتى المستحب محلا للزهد فيه .

---

(١) سورة القصص : ٧٧ .

كذلك ما يذكرونه من أن الزاهد يسيح فى البلدان لغير مطلب شرعى مقصود ، ليس هذا من فعل أنبياء الله ولا أوليائه الصالحين .

وعلى نفس الوتيرة ما يقوم البعض بادعائه من تحريم بعض الأشياء التى أباحها الله ، ليس هذا من قبيل الزهد فى شيء ، ولكنه اتباع للهوى ، وحب المحمدة . وما أحلى كلمة شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – فى تعريفه للزهد ، قال : ليس الزهد أن لا تملك شيئا ، ولكن الزهد أن لا يملكك شيء .

علامات الزهد

أخى المسلم ...

اعلم أن العلماء قد وضعوا بعض العلامات التى ينبغى لمن زهد أو أراد أن يكون فى عداد الزاهدين أن يتمسك بها ، فقالوا :

العلامة الأولى : أن العبد لا يفرح بشىء موجود ، ولا يحزن على مفقود ، وهذا مأخوذ من قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ** ﴾[1] .

العلامة الثانية : أن يستوى لدى العبد منا ذامه ومادحه ، وهذه من علامات الزهد فى الجاه .

العلامة الثالثة : أن يكون أنسه بالله تعالى ، والغالب على قلبه حلاوة الطاعة ، إذ لا يخلو القلب من حلاوة المحبة ، إما محبة الله ، وإما محبة الدنيا ، وكل من أنس بالله اشتغل به ، ولم يشتغل بسواه .

قيل لبعضهم : إلى ماذا أفضى بهم الزهد ؟ فقال : إلى الأنس بالله .

العلامة الرابعة : قصر الأمل فى العيش على الدنيا .

قال أحمد بن حنبل وسفيان الثورى : علامة الزهد قصر الأمل .

العلامة الخامسة : أن العبد يسخو ويجود بما لديه ، ولا يبخل على عباد الله . قال يحيى بن معاذ : علامة الزهد السخاء بالموجود[2] . انتهى .

---

(١) سورة الحديد : ٢٣ .

(٢) انظر الإحياء (٤/ ٢٣٦) ، مختصر منهاج القاصدين (ص : ٣٤٤) .

كيفية الزهد
و
أقسامه

أما الكلام عن كيفية الزهد ، وكيف يكون كما أراد الله له أن يكون :
يقول الإمام الغزالى – رحمه الله –: الناجى فرقة واحدة ، وهى السالكة ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ، وهو أن لا يترك الدنيا بالكلية ، ولا يقمع الشهوات بالكلية ، أما الدنيا فيأخذ منها قدر الزاد ، وأما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع ، ولا يتبع كل شهوة ، ولا يترك كل شهوة – بالقطع الشهوة المباحة – بل يتبع العدل ، ولا يترك كل شىء من الدنيا ، ولا يطلب كل شىء من الدنيا ، بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ، ويحفظه على حد مقصوده ، فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة ، ومن المسكن ما يحفظ عن اللصوص ، والحر والبرد ، ومن الكسوة كذلك . انتهى .

أما عن أقسام الزهد من حيث الحل ، والحرمة ، والندب ، والإباحة ، والكراهة ، فلقد أجاد الإمام ابن القيم فى هذا ، وأفاد حيث يقول فى كتابه « طريق الهجرتين » :

إن الزهد على أربعة أقسام : **أحدها** فرض على كل مسلم ، وهو الزهد فى الحرام ، وهذا متى أخل به انعقد سبب العقاب ، فلابد من وجود مسببه ، ما لم ينعقد سبب آخر يضاده .

الثانى : زهد مستحب ، وهو على درجات فى الاستحباب ، بحسب المزهود فيه ، وهو الزهد فى المكروه ، وفضول المباحات ، والتفنن فى الشهوات

المباحة .

الثالث : زهد الداخلين فى هذا الشأن ، وهم المشمرون فى السير إلى الله ، وهو نوعان :

أحدهما : الزهد فى الدنيا جملة ، وليس المراد تخليها من اليد ، ولا إخراجها ، وقعوده صفرا منها ، وإنما المراد إخراجها من قلبه بالكلية ، فلا يلتفت إليها ، ولا يدعها تساكن قلبه ، وإن كانت فى يده ، فليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك ، وهى فى قلبك ، وإنما الزهد أن تتركها من قلبك ، وهى فى يدك ، وهذا كحال الخلفاء الراشدين ، وعمر بن عبد العزيز الذى يضرب بزهده المثل مع أن خزائن الأموال تحت يده ، بل كحال سيد ولد آدم ﷺ حين فتح الله عليه من الدنيا ما فتح ، ولا يزيده ذلك إلا زهدا فيها . والذى يصحح هذا الزهد ثلاثة أشياء :

الأول : علم العبد أنها ظل زائل ، وخيال زائر ، وأنها كما قال الله تعالى فيها : ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فى الأَمْوَالِ وَالأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا** ﴾(١) .

وقال الله تعالى :

﴿ **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِالدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُها أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاها أَمْرُنا لَيْلًا أَوْ نَهارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾(٢) .

---

(١) سورة الحديد : ٢٠ .

(٢) سورة يونس : ٢٤ .

وقال الله تعالى :

﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ آلرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾[1] .

وسماها سبحانه ﴿ متَاعُ الْغُرُورِ ﴾ ونهى عن الاغترار بها ، وأخبرنا عن سوء عاقبة المغترين ، وحذرنا من مثل مصارعهم ، وذم من رضى بها ، واطمأن إليها ، فما اغتر بها ولا سكن إليها إلا ذو همة دنية ، وعقل حقير ، وقدر خسيس .

الثانى : علمه أن وراءها – أى الدنيا – دارا أعظم منها قدرا ، وأجل خطرا ، وهى دار البقاء ، وأن نسبتها إليها كما قال النبى ﷺ : « ما الدنيا فى الآخرة إلا كما يجعل أحدكم إصبعه فى اليم ، فلينظر بم يرجع » . فالزاهد فيها بمنزلة رجل فى يده درهم ، قيل له : اطرحه فلك عوضه مائة ألف دينار مثلا ، فألقاه من يده رجاء ذلك العوض ، فالزهد فيها لكمال الرغبة فيما هو أعظم منها لذا زهد فيها .

الثالث : معرفته أن زهده فيها لا يمنعه شيئا كتب له منها ، وأن حرصه عليها لا يجلب له مالم يقض له منها ، فمتى تيقن ذلك ، وثلج فى صدره ، وعلم أن مضمونه منها سيأتيه بقى حرصه وتعبه وكده ضائعا ، والعاقل لا يرضى لنفسه بذلك ، فهذه الأمور الثلاثة تسهل على العبد الزهد فيها ، وتثبت قدمه فى مقامه ، والله الموفق لمن يشاء .

النوع الثانى : الزهد فى نفسك ، وهو أصعب الأقسام ، وأشقها ، وأكثر الزاهدين إنما وصلوا إليه ، ولم يلجوه .

---

(١) سورة الكهف : ٤٥ .

وجميع مراتب الزهد المتقدمة وسائل لهذه المرتبة ، ولكن لا يصح إلا بتلك المراتب ، فمن رام الوصول إلى هذه المرتبة بدون ما قبلها فمتعنٍّ ، متمنٍّ ، كمن رام الصعود إلى أعلى المنارة بلا سلم .

قال بعض السلف : إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول . فمن ضيع الأصول حرم الوصول ، وإذا عرف هذا فكيف يدعى أن الزهد من منازل العوام ، وأنه نقص فى طريق الخاصة ، وهل الكلام إلا فى الزهد ؟ وما النقص إلا فى نقصانه ، والله الموفق للصواب . انتهى بتصرف .

درجات الزهد

تكلم العلامة السلفى ابن القيم رحمه الله عن درجات الزهد كلامًا نفيسا ، فقال :

الدرجة الأولى : هو ترك ما يشتبه على العبد : هل هو حلال ، أو حرام ؟ فالشبهات برزخ بين الحلال والحرام ، وقد جعل الله عز وجل بين كل متباينين برزخا ، كما جعل الموت وما بعده برزخا بين الدنيا والآخرة ، وجعل المعاصى برزخا بين الإيمان والكفر ، وجعل الأعراف برزخا بين الجنة والنار .

ولا يكون – أى ترك ما يشتبه – إلا بعد ترك الحرام .

الدرجة الثانية : الزهد فى الفضول ما يفضل عن قدر الحاجة ، فيزهد فيما وراء ذلك ، اغتنامًا لتفرغه لعمارة وقته .

وعمارة الوقت : الاشتغال فى جميع آنائه بما يقرب إلى الله ، أو يعين على ذلك .

الدرجة الثالثة : الزهد فى الزهد ، أى : احتقاره ما زهد فيه ، فإن من امتلأ قلبه بمحبة الله وتعظيمه ، لا يرى أن ما تركه لأجله من الدنيا يستحق أن يجعل قربانا ، لأن الدنيا بحذافيرها لا تساوى عند الله جناح بعوضة . انتهى بتصرف ، نقلا عن : مدارج السالكين (٢/ ١٦ – ٢٠) .

المؤلفات فى الزهد

من الأمور التى تبين لنا مكانة الزهد وأهميته فى الإسلام ، أن يقوم الكثير من علماء المسلمين بالتأليف فى هذا الموضوع الهام ، بل إنه ما من أحدٍ ممن نقل سُنَّة النبى ﷺ إلا وخصص بعض الأبواب التى تتكلم عن الزهد والرقائق ، تأمل فى الصحيحين ، ثم اذهب وتأمل فى كتب أصحاب السنن الأربعة ، للإمام أبى داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، ثم عُد إلى مسند الإمام أحمد ، ثم تصفح فى كتب المصنفات كمصنف عبد الرزاق ، وابن أبى شيبة وغيرهما .

هذا إذا تكلمنا عمن لم يخصوا الموضوع إلا بأبواب ، أما لو ذكرنا من أفردوا الموضوع بتآليف منفردة :

١ - الإمام الحافظ ، شيخ الإسلام عبد الله بن المبارك ، المتوفى سنة ١٨١هـ ، له كتاب الزهد ، مطبوع .

٢ - الإمام العامل المعافى بن عمران الموصلى المتوفى سنة ١٨٥هـ ، قال الحافظ الذهبى فى تذكرته : صنف المعافى فى السنن ، والزهد ، وغير ذلك[1] .

٣ - المحدث الحافظ محمد بن فضيل بن غزوان الكوفى توفى سنة ١٩٥هـ ، قال الحافظ الذهبى فى تذكرته : مصنف كتاب الزهد والدعاء وغير ذلك[2] .

٤ - الإمام المحدث وكيع بن الجراح ، من شيوخ الإمام أحمد بن حنبل ، توفى

---

(١) تذكرة الحفاظ (١/ ٢٨٧) .
(٢) التذكرة (١/ ٣١٥) .

سنة ١٩٧هـ ، طبع كتابه حديثا .

٥ - الإمام الفقيه أحمد بن محمد بن حنبل ، المتوفى سنة ٢٤١ ، مطبوع .

٦ - الحافظ الزاهد هناد بن السرى ، من أصحاب وكيع ، توفى سنة ٢٤٣هـ ، طبع كتابه حديثا .

٧ - الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد ، المعروف بابن أبى الدنيا ، المتوفى سنة ٢٨١ ، توجد نسخة من كتابه الزهد فى مكتبة أحمد الثالث رقم : ٥٩١ ، وعدد أوراقه ١٢٦ ورقة .

٨ - الحافظ العالم إبراهيم بن الجنيد ، المتوفى فى حدود سنة ٢٦٠هـ ، قال الخطيب البغدادى : له كتب فى الزهد والرقائق[(١)] .

٩ - العلامة القاضى أبو أحمد محمد بن أحمد العسال الأصبهانى ، المتوفى سنة ٢٤٩هـ ، له كتاب الرقائق[(٢)] .

١٠ - الحافظ أبو حفص عمر بن أحمد المعروف بابن شاهين ، المتوفى سنة ٣٨٥هـ ، قال الحافظ الذهبى : له كتاب الزهد مائة جزء[(٣)] . وغير هؤلاء الأعلام الحفاظ . وهذا يبين لنا أهمية الموضوع فى المجتمع الإسلامى ، والحاجة الملحة له .

---

(١) التذكرة (٢/ ١٤٩) .

(٢) التذكرة (٣/ ٩٨) .

(٣) التذكرة (٣/ ١٨٤) .



الزهد

للإمام أبى عبد الله القرطبى
(صاحب التفسير)

وهو

القسم الثالث

من كتاب
قصر الحرص بالزهد والقناعة
ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة

تحقيق
أبى مريم
مجدى فتحى السيد



فى الزهد وبيانه

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[1] .

قال سفيان الثورى رضى الله عنه : (أحسنهم عملا) أزهدهم فيها[2] . وكذلك قال أبو عصام العسقلانى (أحسنهم عملا) أترك لها[3] . والزهد فى كلام العرب : هو الإضراب عن المال والجاه .

قال الجوهرى وغيره من أهل اللغة : الزهد خلاف الرغبة ، تقول : زهد فى الشيء ، وعن الشيء ، يزهد زهدًا ، وزهادة ، وزهد يزهد لغة فيه ، وفلان تزهد أى : يتعبد ، والتزهد فى الشيء ، وعن الشيء : خلاف الترغيب ، والمزهد القليل من المال .

وفى الحديث : « **أفضل الناس مؤمن مزهد** »[4] . والزهيد القليل ، يقال : فلان زهيد الأكل ، وواد زهيد أى : قليل الأخذ للماء ، ويقال : خذ

---

(١) سورة الكهف : ٧ .

(٢) تفسير الجامع للقرطبى (ص/ ٣٩٧٢) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) الجامع الصغير (١٢٩٧) وعزاه الحافظ السيوطى إلى الديلمى ، من حديث أبى هريرة ، ورمز له بالضعف ، وضعفه الشيخ الألبانى ، انظر : ضعيف الجامع برقم (١١٤١) . [معنى الحديث] :

(أفضل الناس مؤمن مزهد) أى قليل المال ، لأن ما عنده يزهد فيه لقلته ، هو اسم مفعول أى مزهود فيه ، لقلة ماله ، فهو لفقره ورثاثته لا يؤبه به ، ولا يلتفت إليه ، لكن نقل بعضهم أنه اسم فاعل من أزهد فى الدنيا إذا تخلى عنها العبد ، وزهد المؤمن فى الدنيا يبلغه أقصى المراتب فى العقبى ، ومن ثم لما سئل عيسى عليه السلام عن رجلين مرا بكنز ، فتخاطاه أحدهما ، ولم يلتفت إليه ، وأخذه الآخر ، أيهما أفضل ؟ قال : الذى تركه . انتهى قاله العلامة المناوى ، انظر : فيض القدير (٢/ ٥٠) .

زهد ما يكفيك أى : قدر ما يكفيك ، وفلان يزدهد عطاء فلان أى : يعده قليلًا[1] . وكان ﷺ أزهد الناس ، وأغناهم نفسا ، وحسبك من زهده ما أخرجه الترمذى وابن ماجه وغيرهما : عن أبى أمامة عنه عليه الصلاة والسلام قال : « **عرض علىَّ ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا وفضة ، قلت : لا يارب لكن أشبع يومًا ، وأجوع يوما ، فإذا جعت تضرعت إليك ، وذكرتك ، وإذا شبعت حمدتك ، وشكرتك** »[2] . قال الترمذى : حديث حسن .

والزهد هو حال أبى بكر وعمر ، وعلى ، وأبى ذر ، وعثمان ، وأبى الدرداء ، وتميم الدارى ، ومن ماثلهم . وما أكثر الزهاد فى الصحابة ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير ، زاهدان . فلا يلتفت إلى رواية من روى أن عبد الرحمن يدخل الجنة حبوا . ما يسبقه إليها أحد ، والزبير لا يعادله بشر ، وسيأتى طرق من أحوال من زهد فى الدنيا إن شاء الله تعالى . واختلفت إشارات العلماء فى الزهد .

فقال مالك بن أنس : الزهد التقوى . قال علماؤنا : يريد عن الشبهات فإنه كان له توسع فى المباحات . وقال المسيب بن واضح : سئل ابن عيينة عن الزهد فقال : أن تزهد فيما حرم الله فأما ما أحل الله فقد أباحه ، فإن النبيين قد أكلوا ، وشربوا ، ونكحوا . وقال الزهرى : ليس بالتقشف ولكن بالصبر عن الشهوات . وعنه أيضا أنه قيل له : ما الزهد فى الدنيا ؟ قال : أن لا يغلب الحرام صبرك ، ولا الحلال شكرك .

وقال سفيان الثورى وأصحابه : قصر الأمل ، وليس بأكل الغليظ ، ولا بلبس العباء . قلت : وهذا قول حسن ، فإن من قصر أمله أضرب عن الدنيا ، وعكف على عبادة المولى . وقال ابن زرارة بن أوفى بعد موته ، قلت له :

---

(١) انظر : لسان العرب (٣/ ١٩٦ - ١٩٧) مادة زهد .

(٢) أخرجه الترمذى (٢٤٥١) ، وأحمد (٥/ ٢٥٤) ، والبغوى (٥١٩٠) فى المشكاة ، قال الشيخ الألبانى : ضعيف جدًا ، انظر : ضعيف الجامع برقم (٣٧٠٦) .

رحمك الله ماذا قيل لك ، فأعرض عنى قلت : ما صنع الله بك ؟ فأقبل علىَّ ، وقال : تفضل الله علىَّ بجوده وكرمه . قلت : فأى الأعمال أبلغ عندكم ؟ قال : الرضا ، وقصر الأمل . وقال قوم : الزهد بغض المحمدة ، وحب الثناء . وقلت : وهذه إشارة منه إلى ترك الدنيا كلها أحب تركها . وعنه أيضا : الزهد فى لقاء الناس . قلت : وهذه إشارة منه إلى الخلوة والتعبد ، والأنس بالوحدة .

ولقد أحسن أبو سليمان الخطابى رحمه الله حيث يقول :

آنست بوحدتى ، ولزمت بيتى ... فدام الأنس لى ونما السرور
وأدبنى الزمان فلا أبالى ... هجرت فلا أزار أو أزور
ولست بسائل مادمت حيا ... أسار الجليس أم ركب الأمير

وقال منصور الفقيه فأحسن :

الخير أجمع فى السكوت ... وفى ملازمة البيوت
فإذا استوى لك ذا ... وذا فاقنع بأقل القوت

وللقاضى أبى بكر بن العربى فى هذا المعنى :

حاز السلامة مسلم ... يأوى إلى سكن وقوت
ماذا يؤجل بعد أن ... يأوى إلى بيت وقيت

والشعر فى هذا أكثر ، ولقد أحسن أبو مطيع مكحول بن الفضل النسفى حيث يقول :

طرق يا نفس كى أقصد فردًا صمدًا ... وذرينى لست أبغى غير ربى أحدَا
هو حسبى وأنيسى فدعى الناس ... فما إن تجدى من دونه ملتحدَا

قال جعفر بن سليمان : سألت امرأة من العُبَّاد ، فقلت لها : من معك فى دارك ؟ قالت : من أناجيه معى ، فهل علىَّ من وحشة بعد إذ هو أنيسى

يا عبد الله . وقال الفضيل : إذا رأيت الليل مقبلا فرحت به ، وقلت أخلو بربى ، وإذا رأيت الصبح قد أدركنى ، استرجعت كراهية لقاء الناس ، وأن يجىء من يشغلنى عن ربى عز وجل .

وقيل : لا يكون زاهدًا حتى يكون ترك الدنيا أحب إليه من أخذها ، قاله إبراهيم بن أدهم . قلت : وهذا القول جار مع اللغة حسب ما تقدم .

وقال رجل للحسن : إن فقهاءنا يقولون ، فقال الحسن : وهل رأيت فقيها !!! الفقيه : الزاهد فى دنياه ، البصير بدينه ، المداوم على عبادة ربه .

وقال قوم : الزهد أن يزهد فى الدنيا بقلبه ، قاله ابن المبارك . قلت : وهذا قول حسن جدا ، وحصولها فى اليد ، أو عدم حصولها سواء ، فإن الزهد من أعمال القلوب .

وكذلك كان الصحابة - رضوان الله عليهم - كانت الدنيا فى أيديهم ، وهم معرضون عنها بقلوبهم ، على ما يأتى بيانه . وقالت فرقة : الزهد حب الموت .

قلت : وهذا القول يعم جميع الأقوال بالمعنى ، فإن فى حب الموت ، حب لقاء المولى ، والإضراب عن الدنيا ، فهو أعلاها . وقد فسر النبى ﷺ الزهد تفسيرا يغنى عن قول كل قائل ؛ أخرج ابن ماجه فى سننه ، والترمذى فى الجامع عن أبى ذر الغفارى - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : **« ليس الزهادة فى الدنيا بتحريم الحلال ، ولا فى إضاعة المال ، ولكن الزهادة فى الدنيا أن لا تكون بما فى أيديك أوثق منك بما فى يد الله تعالى ، وأن تكون فى ثواب المصيبة إذا أصبت بها ، أرغب منك فيها لو أنها أبقيت لك »**[1] . قال ابن ماجه : قال هشام بن عمار : كان أبو إدريس الخولانى

---

(١) الترمذى (٣٤٤٣) ، وابن ماجه (٤١٠٠) ، البغوى (٥٣٠١) فى المشكاة ، قال الشيخ الألبانى : ضعيف جدا ، انظر : ضعيف الجامع برقم (٣١٩٤) .

يقول : هذا الحديث فى الأحاديث كمثل الإبريز فى الذهب .

وقال الترمذى : حديث غريب ، وأبو إدريس الخولانى اسمه عائذ الله بن عبد الله ، وعمرو بن واقد منكر الحديث . قلت : فأشار ﷺ فى هذا الحديث إلى بابين عظيمين ؛ **أحدهما** : التوكل ، وقد تقدمت الإشارة إليه . **والثانى** : الرضا ، وهو على قسمين :

رضا عام : وهو لا يجد غير الله ربا ، ولا غير الإسلام دينا ، ولا غير محمد رسولا ، زهد الرضا لا يخلو عنه مسلم ، إذ لا يصح التدين بدين الإسلام إلا بذلك ، وهو المراد بقوله : « **ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد رسولا** »[1] . أخرجه مسلم وغيره .

ورضا خاص : وهو الذى تكلم فيه أرباب القلوب ، وأحسن عبارة فيه ، ما قاله الثورى : هو سرور القلوب عند القضاء . وهو الذى أشار إليه النبى ﷺ فى هذا الحديث ، والله أعلم .

وهو غاية الرضا ، فيظهر العبد التحمل عند أول المصيبة ، ويرضى ثواب الله عوضًا عما أخذ منه ، ولا يسخط شيئا فيرد القضاء .

قال شقيق : اشتريت بطيخة لأمى ، فلما قطعتها سخطت ، قلت : يا أماه على من تسخطين ؟ هل تردين القضاء ، أو تلومين حارثها ، أو مشتريها ، أو خالقها ؟ فأما حارثها ، ومشتريها ، فوالله ما كان لهما ذنب ، فيودان أن تكون من أطيب البطيخ ، ولا أراك تلومين إلا خالقها ، فاتقى الله ولا تلوميه . قال شقيق : فوالله ما سمعت منى أمى كلامًا أنفع لها من هذا . وروى الزبير ابن بكار قال : حدثنى على بن محمد بن عبد الله قال : كتب غيلان إلى بعض إخوانه ، وقد أصيب بابنه :

أما بعد ... فإن الله أعطاك هبته ، وجعل عليك أدبه ، ومؤنته ، وأنت

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٢) فى الإيمان ، وأحمد (١/ ٢٠٨) .

تخشى فتنته ، فاشتد لذلك سرورك ، فلما قبض الله هبته ، وكفاك أدبه ، وأمنت من فتنته اشتد لذلك جزعك[1] لهنئت بما عزيت ، فإذا أتاك كتابى هذا فاصبر على الأمر الذى لا غنى لك عن ثوابه ، ولا صبر لك عن عقابه ، واعلم أن كل مصيبة لم يذهب فرحُ ثوابها حزنَها ، فذلك هو الحزن الدائم . والسلام .

(١) بياض بالأصل ، والمعنى المراد لو أنك صبرت على هذا البلاء لهنئت بما عزيت .

فيما يحمل على التملك من الدنيا والزهد فيها

وهو ثلاثة أشياء : قصر الأمل ، ذكر الموت ، وزيارة القبور . أخرج البخارى عن ابن عمر قال : أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى فقال : « **كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل** »[1] .

وكان ابن عمر يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك .

وروى عن عبد الله بن عمرو قال : مرعلينا رسول الله ﷺ ونحن نعالج خُصًّا لنا ، فقال : «**ما هذا ؟**» قلنا : قد وَهَى ، فنحن نصلحه ، فقال : « **ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك** »[2] . قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

وأخرج ابن ماجه عن أبى أيوب قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله علمنى فأوجز ، قال : « **إذا قمت إلى الصلاة ، فصل صلاة مودع ، ولا تكلم بكلام تعتذر منه ، واجمع اليأس عما فى أيدى الناس** »[3] . وقد تقدم .

---

(١) أخرجه البخارى (٨/ ١١٠) فى الرقاق ، والترمذى (٢٤٣٥) .

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٦١) ، وأبو داود (٥٢٣٦) ، والترمذى (٢٤٣٨) ، وابن ماجه (٦٠ ٤١) ، قال الشيخ الألبانى : صحيح . انظر : تخريج المشكاة (٥٢٧٥) ، صحيح الجامع برقم (٥٤٠٢) .

[معانى المفردات] قوله : (نعالج) أى نصلح ، (خُصًّا) الخص بيت من قصب ، (وهى) أى : ضعف واسترخى ، (ما أرى الأمر) أى أمر الموت .

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٤١٢) ، ابن ماجه (٤١٧١) ، الطبرانى (٤/ ١٨٥) فى الكبير ، وأبو نعيم (١/ ٣٦٢) فى الحلية ، والبغوى (٥٢٢٦) فى المشكاة ، قال الشيخ الألبانى – حفظه الله –: حسن ، انظر : السلسلة الصحيحة برقم (٤٠٠) ، وصحيح الجامع (٧٥٥) . [مفردات الحديث] : قوله (أوجز) أى اقتصر على خلاصة الأمر ليكون أسهل للضبط ، أو أدِّ ذلك العلم المطلوب بكلام مختصر ، موجز لفظا ، جامع للعلم الكثير المعنى ، قوله : (مودع) أى : كن كأنك تصلى آخر صلاتك ، (يعتذر منه) أى : يحتاج منه إلى الاعتذار ، (واجمع) أى اعتقد ، واعزم .

وأخرج عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « **كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، فإنها تزهد فى الدنيا ، وتذكر الآخرة** »[1] . وقال وهيب بن الورد : بنى نوح عليه السلام بيتًا من قصب ، فقيل له : لو بنيت غير هذا ، فقال : هذا كثير لمن يموت[2] .

وقال ابن المهاجر : مكث نوح فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاما فى بيت من شَعْر ، فقالوا : يانبى الله ، لو بنيت غير هذا ؟ فقال : أموت اليوم ، أموت غدا . وروى الترمذى عن عبد الله قال : قام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر فى جنبه ، فقلنا : يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء تنام عليه !! فقال : « **مالى وللدنيا ، ما أنا إلا كراكب استظل تحت شجرة ، ثم راح وتركها** »[3] .

ولقد أحسن من قال :

هب الدنيا تساق إليك عفوا   أليس مصير ذاك إلى زوال
وما دنياك إلا مثل ظـل   ثم أذن بـــــــــارتحال

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٥٧١) ، قال الشيخ الألبانى – عفا الله عنه –: ضعيف ، انظر : أحكام الجنائز (ص/ ١٨٠) ، ضعيف الجامع (٤٢٨٤) . لكن أخرجه الحاكم بلفظ : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها ، فإنها ترق القلب ، وتدمع العين ، وتذكر الآخرة ، ولا تقولوا هجرا) انظر : مستدرك الحاكم (١/ ٣٧٦) ، قال الشيخ الألبانى : صحيح ، انظر : صحيح الجامع برقم (٤٤٦٠) ، أحكام الجنائز (ص/ ١٧٩ – ١٨٠) .

(٢) أورده أبو نعيم(٨/ ١٤٥) فى الحلية فى ترجمة وهيب بن الورد . قوله : (قصب) : القصب : كل نبات ذى أنابيب ، واحدتها : قصبة .

(٣) أخرجه الترمذى (٢٤٨٣) وقال :حديث صحيح ، وابن ماجه (٤١٠٩) ، أحمد (١/ ٣٩١) ، والحاكم (٤/ ٣١٠) ، أبو داود الطيالسى (٢٧٧) ، قال الشيخ الألبانى : صحيح ، انظر : السلسلة الصحيحة برقم (٤٣٩) ، صحيح الجامع برقم (٥٥٤٤) . [من معانى الحديث] قوله : (مالى وللدنيا) قال القارى : ما نافية أى ليس لى ألفة ومحبة مع الدنيا ، ولا للدنيا ألفة ومحبة معى ، حتى أرغب إليها ، وأنبسط عليها ، وأجمع ما فيها .

أو استفهامية أى : أى ألفة ومحبة لى مع الدنيا ، أو أى شيء لى مع الميل إلى الدنيا ، أو ميلها إلَىَّ ، فإنى طالب الآخرة ، وهى ضرتها .

وقال آخر فأحسن :

طالب الدنيا بحرص وعجل إنما الدنيا كظل منتقل

نحن فيها مثل ركب نازل فقيل كلما أحل ارتحل

قال علماؤنا : وإذا كان الأمر كذلك فلا ينبغى لعاقل أن يُخدع بها ، ولقد صدق القائل :

أحلام نوم أو كظل زائل إن اللبيب بمثلها لا يخدع

وروى ابن عباس عن النبى ﷺ قال : « **إن أردتم أن تدركوا ما عند الله عز وجل ، فكونوا فى الدنيا نزل الأضياف** »[1] .

وروى منصور عن الحسن قال : لما حضر سلمان الموتُ بكى ، فقيل له : يا أبا عبد الله ما يبكيك وأنت صاحب رسول الله ﷺ ؟!!! فقال : أما إنى لا أبكى حزنا على الدنيا ، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا عهدًا فتركت عهده ، عهد أن يكون بلغة أحدنا كزاد الراكب . قال : فلما مات نظروا ، فإذا نحوًا من ثلاثين درهما[2] . ورواه ثابت عن أنس أن سعدًا عاده فقال له : ما يبكيك يا أخى . الحديث أخرجه ابن ماجه فى سننه قال قال ثابت : فبلغنى أنه ما ترك إلا بضعة وعشرين درهما من نفقة كانت عنده[3] .

وروى الترمذى قال : حدثنا محمود بن غيلان أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا سفيان عن منصور والأعمش عن أبى وائل قال : جاء معاوية إلى أبى هاشم بن عتبة وهو مريض يعوده ، فقال : يا خال ما يبكيك ؟ أوجع يشئزك ، أم حرص على الدنيا ، قال : على كل لا ، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا عهدًا لم آخذ به ، قال : « **إنما يكفيك من جمع المال خادم ،**

---

(١) لم أجده فيما تحت يدى من كتب .

(٢) حلية الأولياء (١/ ١٩٦) فى ترجمة سلمان رضى الله عنه .

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٤) ، والحلية (١/ ١٩٧) .

ومركب فى سبيل الله »[1] . وأجد فى بيتى اليوم قد جمعت . أخرجه ابن ماجه أيضا ، وهو صحيح .

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٤٤) ، (٥/ ٢٠٠ ، ٣٦٠) ، والترمذى (٢٤٢٩) ، النسائى (٨/ ٢١٨ - ٢١٩) ، وابن ماجه (٤٠١٣) ، والبغوى (٥١٨٥) فى مشكاة المصابيح ، قال الشيخ الألبانى - حفظه الله -: حسن ، انظر : صحيح الجامع برقم (٢٣٨٢) . [من مفردات الحديث] : قوله : (يشئزك) أى يقلقك ، يقال :شئز ، وشئِز ، فهو مشئوز ، وأشأزه غيره ، وأصله الشأز ، وهو الموضع الغليظ الكثير الحجارة . قوله : (فى سبيل الله) أى ما كان فى جهاد ، أو طلب للعلم ، والسعى على الرزق ، أو الحج ، والمقصود منه القناعة ، والاكتفاء بقدر الكفاية ، بما يصح أن يكون زادا يوصله إلى الآخرة .

فضل الزهد وثمرته

أخرج ابن ماجه عن سهل بن سعد الساعدى قال : أتى النبى ﷺ رجل فقال : يا رسول الله دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله ، وأحبنى الناس ؟ فقال له النبى ﷺ : « **ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس** »[1] .

وأخرج عن أبى خلاد ، وكانت له صحبة قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهدًا فى الدنيا ، وقلة منطق ، فاقتربوا منه ، فإنه يلقى الحكمة** »[2] .

وقال عبد الله بن مسعود : أنتم اليوم أكثر صلاة ، وأشد عبادة من أصحاب رسول الله ﷺ ، وكانوا خيرا منكم ، قالوا : ولم ؟ قال : كانوا أزهد منكم فى الدنيا ، وأرغب فى الآخرة .

وقال سفيان الثورى : إذا زهد العبد فى الدنيا ، ثبت الله الحكمة فى قلبه ، وأطلق بها لسانه ، وبصره بعيوب نفسه ، وجعل داءها دواءها .

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٢) ، والحاكم (٤/ ٣١٣) ، والطبرانى (٦/ ٢٣٧) فى الكبير ، البغوى (٥١٨٧) فى المشكاة ، قال الشيخ الألبانى : صحيح ، انظر : صحيح الجامع برقم (٩٣٥) .

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤١٠١) ، وأبو نعيم (١٠/ ٤٠٥) فى الحلية ، قال الشيخ الألبانى : ضعيف ، انظر : ضعيف الجامع برقم (٦٠٧) .

فى أحوال من زهد فى الدنيا

وهى ست : المقال ، اللباس ، المطعم ، والصبر على الفاقة والحاجة ، وترك السؤال ، الخمول .

فأما المقال : وهو أولها : فهو المقصود الأعظم بأن يكون قوله يوافق فعله ، وقد ذم الله تعالى فى كتابه قوما كانوا يأمرون بأعمال البر ولا يعملون بها فقال : ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُم وَأَنتُم تَتلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾[1] .

وقال منصور الفقيه فأحسن (شعر) :

إن قوما يأمرونـا ... بالذى لا يفعلونـا
لمجانين وإن هـم ... لم يكونوا يصرعونا

وقال أبو العتاهية :

وصفت التقى حتى كأنك ذو تقى ... وريح الخطايا من ثيابك تسطع
ما أقبح التزهيد من واعـظ ... يزهـد النـاس ولا يزهـد
لـو كان فى تزهيـده صادقـا ... أضحى وأمسى بيتـه المسجـد
إن رفض النـاس فمـا بالـه ... يستميـح النـاس ولا يرقـد
الرزق مقسوم على من ترى ... يسعـى لـه الأبـيض والأسود

وقال أبو الأسود الدؤلى فأحسن :

---

(١) سورة البقرة : ٤٤ .

لا تنه عن خلق وتأتى مثله　　عار عليك إذا فعلت عظيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها　　فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل إن وعظت ويقتدى　　بالقول منك وينفع التعـليم

قال إبراهيم النخعى : إنى لأكره القصص لثلاث آيات ، قوله تعالى : ﴿ **أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ** ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ **يَاأَيُّها الَّذِين آمَنُواْ لِم تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ** ﴾[1] . وقوله تعالى : ﴿ **وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَاأَنْهَاكُمْ عَنْهُ** ﴾[2] .

الثانية : لباسه : نظر رافع بن ثابت رضى الله عنه إلى الأمير بالكوفة وهو يعظ فقال : انظروا إلى أميركم يعظ الناس ، وعليه ثياب الفساق ، وكانت عليه ثياب رقاق .

الثالثة : مطعمه يكون متوسطا :فتكون هذه الأحوال الثلاثة متصادقة يصدق بعضها بعضا .

الرابعة : صبره على الحاجة والفاقة : إن عرضت أو نزلت به حتى لا يظهر شىء من ذلك عليه كما أخبر عز وجل عنهم بقوله : ﴿ **يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ** ﴾[3] . وهى السمة التى يعرفون بها وهى رضاهم بحكم المولى .

وقيل يقصد بالتعفف التجمل كما قال تعالى : ﴿ **فاصْبِر صَبْرًا جَمِيلًا** ﴾[4] فى أحد الأقوال .

وقيل : يؤثر على نفسه حتى يوهم المعطى الذى أعطاه أنه غنى وقيل : هو أن لا يدخر خوف غدٍ .

---

(١) سورة الصف : ٢ .
(٢) سورة هود : ٨٨ .
(٣) سورة البقرة : ٢٧٣ .
(٤) سورة المعارج : ٥ .

وقيل : هو أن لا يسأل إلا الله تعالى كما قال العبد الصالح : ﴿ **رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ** ﴾[1] . المعنى أنا محتاج إلى رزق الذى كتبته لى فإن كان فأرسله إلى وارفع حاجتى .

قلت : هذا القول أحسنها إن شاء الله تعالى ، فينزل حاجته بالله تعالى ، ويظهر التجمل لغيره حتى يظنه أنه غني . ولقد أحسن من قال :

ويسألنى صديقى كيف حالى فأوهمه الغنى وقد جهدت

تقدم ذكرها . وقال آخر :

إنى لأكرم وجهى أن أوجهه عند السؤال لغير الواحد الصمد

وقد تقدم .

قال القاضى أبو بكر بن العربى : وقد حرم بعض الصوفية السؤال ، فقال : هو تشنيع من العبد على المولى ، وهذا جهل عظيم ، ولقد أخبرنا الله عز وجل أن من عباده غنيا وفقيرا ، وأمرنا أن نعود على الفقراء ، وذلك من حكمه وحكمته ، فأى تشنيع فى أن يخبر عن حاله التى يختص بها ، وقد أعلمنا الله تعالى بها فى الجملة .

قالوا : فيها إذلال المرء نفسه ، قلنا : وأى إذلال فى أن يحيلك مولاك بنعمة أعطاها لك على يد أخيك ، أودعها لك عنده . الذل على السؤال لا على السائل ، فهو خازنك ، إن أعطاك ما أمر به أُجر ، وإن كره أو تردد أثم .

قالوا : وفيها إيذاء المسئول لأنه إن سمح به شق عليه مفارقة ماله ، وإن بخل فصورة مذمومة ، قلنا : شق الله عليهم و لم يبخلوا بما آتاهم الله من فضله يحسبونه خيرا لهم وهو شر لهم . ورووا فى ذلك حديثا عن النبى ﷺ : « **مسألة الناس من الفواحش** »[2] . قلنا لهم : من أعظم الفواحش وأكبر

---

(١) سورة القصص : ٢٤ .

(٢) لم أجده فيما تحت يدى من كتب .

الكبائر وأشد الموبقات رواية هذا الحديث .

الخامسة : إذا كان عنده ما يكفيه فلا يسأل الله إلا قوت يوم : على حديث سهل بن الحنظلية وقد تقدم .

السادسة :- أن يكون خاملا لا يعرف : كما فى حديث أبى أمامة عن النبى ﷺ **« إن أغبط أوليائى عندى لمؤمن خفيف الحاذ ، ذو حظ من الصلاة ، أحسن عبادة ربه ، وأطاعه فى السر ، وكان غامضا فى الناس ، لا يشار إليه بالأصابع »**[1] . الحديث وقد تقدم .

وقال أويس القرنى لعمر : « دعنى أكون فى غبراء الناس أحب إلَّى »[2] أخرجه مسلم . وكان الصالحون إذا عرفوا هربوا كما فعل أويس فإنه لما فطن به انطلق على وجهه .

---

(١) أخرجه الترمذى (٢٤٥١) وقال : على بن يزيد يُضعفُ فى الحديث ، وابن ماجه (٤١١٧) ، أحمد (٥/ ٢٥٥) ، الحاكم (٤/ ١٢٣) فى مستدركه ، وابن المبارك (٥٤) فى الزهد ، الطبرانى (٨/ ٢٤٢) فى الكبير ، قال الشيخ الألبانى : ضعيف ، انظر : تخريج المشكاة (٥١٨٩) ، وضعيف الجامع (١٣٩٧) . [من معانى الحديث] : قوله (إن أغبط أوليائى) أى أحسنهم حالا ، وأفضلهم مآلا (عندى) أى فى اعتقادى .

(خفيف الحاذ) أى خفيف الحال ، الذى يكون قليل المال وخفيف الظهر من العيال ؛ قال الجزرى : الحاذ والحال واحد ، وأصل الحاذ طريقة المتن ، وهو ما يقع عليه اللبد من ظهر الفرس ، أى خفيف الظهر من العيال .

(كان غامضا فى الناس) أى : خاملا خافيا ، غير مشهور ، فيما بين الناس .

(٢) صحيح مسلم (١٦/ ٩٦ بشرح النووى) .

قوله : (غبراء الناس) أى فى أخلاطهم ، وضعافهم الذين لا يهتم بهم أحد ، وهذا إيثار لعدم الظهور .

نذكر فيه طرفا من زهد النبى ﷺ ، فى عيشه ومطعمه ، وملبسه ، ومركبه . قد تقدم من حديث أبى أمامة عنه عليه السلام أنه قال : « **عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا وفضة فقلت لا يارب** »[1] . الحديث .

وفى صحيح مسلم عن أبى ذر قال : كنت أمشى مع النبى ﷺ فى حرة المدينة ، عشاء ، ونحن ننظر إلى أحد ، فقال لى رسول الله ﷺ : « **أباذر ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : ما أحب أن لى أحدًا ذاك عندى ذهب أمسى ثَالِثة عندى منه دينار إلا دينار أرصده لدين ، إلا أن أقول به فى عباد الله هكذا حثا بين يديه وهكذا عن يمينه وهكذا عن شماله** »[2] . وأخرجه البخارى . وأخرج الترمذى عن أبى أمامة قال : ما كان يفضل عن أهل بيت رسول الله ﷺ خبز الشعير[3] . (قال حديث حسن صحيح) .

وعن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يبيت الليالى المتتابعة طاويا ، وأهله لا يجدون عشاء ، وكان أكثر خبزهم الشعير [4] . قال حديث حسن صحيح .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) أخرجه البخارى (٨/ ١١٧) ، ومسلم (٧/ ٧٥) . قوله : (حرة المدينة) هى الأرض الملبسة حجارة سوداء .

(٣) أخرجه الترمذى (٢٤٦٤) وقال : حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه . قوله : (ما كان يفضل) قال فى القاموس : الفضل ضد النقص ، والمعنى المراد : لم يتيسر لهم من دقيق الشعير ما إذا خبزوه يفضل عنهم ، مما يوضح شدة حالهم .

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٢٥٥ ، ٣٧٤) ، والترمذى (٢٤٦٥) وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه (٣٣٤٧) ، قال الشيخ الألبانى – حفظه الله –: حسن ، انظر : صحيح الجامع برقم (٤٧٧١) .

قوله : (طاويا) أى جائعا ، يقال : طوى من الجوع يطوى طوى ، فهو طاو ، أى : خالى البطن جائع ، لم يأكل .

وعن سهل بن سعد أنه قيل له أآكل رسول الله ﷺ النقى ؟ يعنى الحُوَّارَى ، فقال سهل : ما رأى رسول الله ﷺ النقى حتى لقى الله عز وجل . فقيل له : هل كانت لكم مناخل على عهد رسول الله ﷺ ؟ فقال : ما كانت لنا مناخل قيل : كيف كنتم تصنعون بالشعير ؟ قال كنا ننفخة فيطير منه ما طار ثم نُثَرِّيه فنعجنه[1] . قال : حديث صحيح ، أخرجه ابن ماجه أيضا فى سننه . وأخرج ابن ماجه عن أم أيمن أنها غربلت دقيقا فصنعته للنبى ﷺ رغيفا ، فقال : ما هذا ؟ قالت : طعام نصنعه بأرضنا فأحببت أن أصنع لك منه رغيفا ، قال : « **رديه فيه ثم اعجنيه** »[2] .

وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت : « ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعًا حتى قبض »[3] . وفى رواية : « ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض »[4] . وفى رواية : « خبز بر إلا وأحدهما تمر »[5] .

وروى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما شبع آل محمد من خبز برٍّ مأدُومٍ ثلاثة أيام ، حتى لقى الله عز وجل[6] . وعنها رضى الله عنها قالت : توفى رسول الله ﷺ وما فى رفِّى من شىء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير فى رفٍّ لى فأكلت منه حتى طال علىّ فكِلتُه ففنى [7] . رواه البخارى ومسلم.

قلت : فقد أخبرتك عائشة رضى الله عنها بعيش النبى ﷺ زاهدًا فى الدنيا مع توالى الفتوحات وكثرة الأموال والجبايات .

---

(١) أخرجه الترمذى (٢٤٦٩) وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجه (٣٣٣٥) .
(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٣٣٦) ، وإسناده حسن .
(٣) أخرجه البخارى (٨/ ١٢١) ، ومسلم (١٨/ ١٠٥) ، أحمد (٦/ ١٢٨ ، ١٥٦ ، ١٨٧ ، ٢٥٥ ، ٢٧٧) ، ابن ماجه (٣٣٤٤) .
(٤) أخرجه مسلم (١٨/ ١٠٦) ، والترمذى (٢٤٦٢) وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه (٣٣٤٦) .
(٥) البخارى (٨/ ١٢١) بمعناه ، وأخرجه مسلم (١٨/ ١٠٦) .
(٦) البخارى (٧/ ٩٨) ، والنسائى (٧/ ٢٣٦) .
(٧) البخارى (٨/ ١١٩) ، مسلم (١٨/ ١٠٧) ، الترمذى (٢٥٨٩) بمعناه ، وابن ماجه (٣٣٤٥) ، وأحمد (٦/ ١٠٨) .

وفى الصحيحين عنها – رضى الله عنها – أن رسول الله ﷺ اشترى من يهودى طعاما إلى أجل ورهنه درعا من حديد[1] .

وأخرجه النسائى من حديث ابن عباس رضى الله عنه قال توفى رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين صاعًا من شعير لأهله[2] .

وروى ابن ماجه عن أبى هريرة قال : أتى رسول الله ﷺ يوما بطعام سخن فأكله فقال : لما فرغ قال : « **الحمد لله ما دخل بطنى طعام سخن منذ كذا وكذا** »[3] .

وروى عن عروه بن الزبير أنه قال : قالت لى خالتى : والله يابنى لقد كنا نقعد أربعين ليلة ، وما توقد فى بيت رسول الله ﷺ نار ، ولا مصباح ، قال : فقلت لها وبماذا كنتم تعيشون ؟ قالت : بالأسودين : التمر والماء لا غير ذلك[4] .

وقالت عائشة رضى الله عنها : والله لقد كنا لننظر الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين ، وما أوقد فى بيت رسول الله ﷺ نار[5] . أخرجه مسلم .

وروى أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق بن السنى الحافظ أخبرنا أحمد ابن محمود الواسطى قال حدثنا عبد الكريم بن الهيثم قال حدثنا عبيد بن يعيش قال حدثنا يونس بن بكير قال حدثنا سعيد بن ميسرة عن أنس بن مالك عن أبى الدرداء قال كان رسول الله ﷺ لا ينخل الدقيق ، و لم يكن له إلا قميص

---

(١) البخارى (٣/ ٧٤) ، ومسلم (١٠/ ٤٠) ، وأحمد (٦/ ٤٢ ، ١٦٠ ، ٢٣٠) .
(٢) أخرجه النسائى (٧/ ٣٠٣) .
(٣) أخرجه ابن ماجه (٤١٥٠) وفى إسناده سويد بن سعيد . قال الحافظ ابن حجر عنه : صدوق فى نفسه ، إلا أنه عمى فصار يتلقن ما ليس من حديثه ، انظر التقريب (١/ ٣٤٠) .
(٤) البخارى (٨/ ١٢١) بنحوه ، ومسلم (١٨/ ١٠٧) .
(٥) انظر السابق .

واحد[1] .

وأخرج من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما اتخذ رسول الله ﷺ من شيء زوجين لا قميصين ولا رداءين ولا إزارين إلا من النعال[2] .

وعن الأحنف بن قيس أنه سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لحفصة : أنشدك الله هل تعلمين أن رسول ﷺ كان يضع ثوبه ليغسل فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فما يجد ثوبا يخرج فيه للصلاة حتى ييبس فيخرج فيه .

وروى البخارى عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : كان فراش رسول الله ﷺ الذى ينام عليه أُدَما حشوه ليف[3] .

وأخرجه ابن ماجه ، وقال ضجاع رسول الله بدل فراش[4] ، ورواه البخارى .

وروى الترمذى عنها قالت : كانت وسادة النبى ﷺ التى يضطجع عليها من أدم حشوها ليف[5] . قال هذا حديث حسن صحيح .

وأخرج أبو داود قال : حدثنا مسدد قال : حدثنا حماد عن خالد الحذاء عن أبى قلابة عن بعض آل أم سلمة قال كان فراش رسول الله ﷺ نحوا

---

(١) فى إسناده سعيد بن ميسرة . قال البخارى : عنده مناكير ، وقال ابن حبان : يروى الموضوعات ، وقال الحاكم : روى عن أنس موضوعات ، وكذبه يحيى القطان . فالإسناد موضوع ، انظر : التاريخ الصغير للبخارى (ص/ ١٩٠) ، والكبير (٣/ ٥١٦) ، المجروحين (١/ ٣١٢) ، الميزان (٢/ ١٦٠) ، الجرح والتعديل (٤/ ٦٣) لابن أبى حاتم .

(٢) لم أجده فيما تحت يدى من كتب .

(٣) البخارى (٨/ ١٢١) ، ومسلم (١٤/ ٥٨) ، الترمذى (١٨١٦) وقال : حسن صحيح .

(٤) ابن ماجه (٤١٥١) .

(٥) الترمذى (٢٥٨٦) وقال : حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه وأبو داود (٤١٤٦) بنحوه .

مما يوضع الإنسان فى قبره ، وكان المسجد عند رأسه [1] .

وأخرج ابن ماجه قال : حدثنا عمرو بن رافع قال حدثنا جرير عن مسلم الأعور عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ يعود المريض ، ويشيع الجنازة ، ويجيب دعوة المملوك ، ويركب الحمار ، وكان يوم قريظة والنضير على حمار ، ويوم خيبر على حمار مخطوم برسن من ليف وتحته إكاف من ليف[2] .

وفى الصحيحين عن معاذ بن جبل قال : كنت ردف رسول الله ﷺ على حمار يقال له عفير[3] . الحديث أخرجه مسلم .

---

(١) أبو داود (٥٠٤٤) ، والبغوى (٤٧١٧) فى مشكاة المصابيح ، قال الشيخ الألبانى : ضعيف ، انظر : ضعيف الجامع (٤٤٧٨) .

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤١٧٩) وفى إسناده مسلم بن كيسان الأعور ، من الضعفاء ، انظر : التقريب (٢/ ٢٤٦) ، الميزان (٤/ ١٠٦) ، التاريخ الكبير للبخارى (٧/ ٢٧١) ، الضعفاء للعقيلى (١٧٢٢) ، الجرح والتعديل (٨/ ١٩٢) لابن أبى حاتم . قوله : (برسن) هو الحبل الذى تقاد به الدابة . قوله : (إكاف الحمار) : برذعته .

(٣) البخارى (٤/ ٣٥) ، ومسلم (١/ ٢٣٣) .

نذكر فيه طرفًا من زهد صحابته رضى الله عنهم فأول ذلك الصديق رضى الله عنه ، قال بعض الفقهاء للشبلى مختبرًا : ياشيخ كم فى خمس من الإبل ؟ فقال له : على مذهبنا ، أو مذهبكم ؟ قال : وهل لكم مذهب سوى مذهبنا ؟ قال : نعم . قال : ما هو ؟ قال : أما على مذهبكم ، ففى خمس من الإبل شاة من الغنم ، وعلى مذهبنا فَبَذْلُك الكل[1] قال : وهل لك فى هذا المذهب إمام ؟ قال : نعم أمير المؤمنين أبو بكر الصديق – رضى الله عنه – فإنه أتى النبى ﷺ بجميع ماله ، فقال له : **ما تركت لعيالك** ؟ قال : الله ورسوله[2] . وقال فى مرضه الذى توفى فيه : رأيت الدنيا قد أقبلت ولما تقبل وهى جائية ، وستتخذون ستور الحرير ، ونضائد الديباج وتهجرون مضاجع الصوف ، وكنتم تبيتون فى أشد الأمر على حسائك السعدان ، والله لأن يقدم أحدكم فيضرب عنقه فى غير حد خيرًا له من أن يسبح فى غمرة الدنيا[3] .

وقيل له : يا خليفة رسول الله ﷺ ألا تستعمل أهل بدر ؟ فقال : إنى أرى مكانهم ، ولكن أكره أن أدنسهم بالدنيا[4] .

وأما عمر رضى الله عنه فإنه أتى بنصف ماله ، وترك نصفا لعياله ، ولبس قميصًا جديدًا ، ثم دعا بشفرة ، فقال لابنه : يابنى مدّ كُمَّ القميص والزق يديك بأطراف أصابعى ، ثم اقطع ما فضل عنها ، قال عبد الله : فقطعت الكمين من جانبيه ، فصار كم القميص بعضه فوق بعض فقلت : يا أبتاه لو سويته

---

(١) بذلك الكل : أى إعطاؤك الكل . يقال : بذل الشيء أى أعطاه وجاد به .

(٢) أخرجه الترمذى (٣٩٢٠) بلفظ : (ما أبقيت لأهلك ؟) وقال : حديث حسن صحيح ، والحاكم (١/ ٤١٤) وقال : صحيح وأقره الذهبى ، وأخرجه أبو نعيم (١/ ٣٢) فى حلية الأولياء .

(٣) حلية الأولياء (١/ ٣٤) .

(٤) حلية الأولياء (١/ ٣٧) .

بالمقص ، فقال : يابنى هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعل فما زال عليه حتى تقطع ، وكان ربما رأيت الخيوط تتساقط على قدميه[1] .

وقال الحسن خطب عمر رضى الله عنه وهو خليفة وعليه إزار ، فيه اثنتا عشرة رقعة[2] . وقال قتادة : ذكر لنا أن عمر رضى الله عنه قال : لو شئت كنت أطيبكم طعامًا وألينكم لباسا ، ولكنى أستبقى طيباتى للآخرة[3] .

وقال الأحنف بن قيس : سمعت عمر يقول : لأنا أعلمكم بخفض العيش ، ولوشئت لكنت أطيبكم عيشا إنى والله ما أجهل عن أسنمة وصلاء ، وصناب ، وصلائق ولكنى أستبقى طيباتى ، فإن الله تعالى وصف أقواما[4] فقال : ﴿ **أَذْهَبْتُم طَيِّبَاتِكُم فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا** ﴾[*] . والصلاء بالمد والكسر المشوى سمى بذلك لأنه يصلى بالنار ، والصناب الأصبغة المتخذة من الخردل والزبيب ، والصلائق الخبز الرقاق العريض . فأما السلائق بالسين فهو ما يسلق من البقول وغيرها .

وقال حفص بن العاص كنت أتغدى عند عمر رضى الله عنه الخبز والزيت والخل ، والخبز واللبن والقديد ، وأقل ذلك اللحم الغريض[5] وكان يقول لا تنخلوا الدقيق فإنه طعام كله .

وأما عثمان رضى الله عنه فحسبك به زهدًا جهز جيش العسرة بثلاث مائة

---

(١) حلية الأولياء (١/ ٤٥) .

(٢) حلية الأولياء (١/ ٥٣) ، وصفة الصفوة (١/ ٢٨٤) .

(٣) حلية الأولياء (١/ ٤٩) ، وأورده صاحب منتخب كنز العمال (٤/ ٤٠٦) وعزاه لعبد بن حميد ، وابن جرير عن قتادة .

(٤) حلية الأولياء (١/ ٤٩) ، صاحب منتخب كنز العمال (٤/ ٤٠٢) وعزاه لابن المبارك وابن سعد عن أبى موسى الأشعرى .

(*) سورة الأحقاق : ٢٠ .

(٥) اللحم الغريض : الطرى من اللحم ، يقال : أطعمنا لحما غريضًا أى طريا ، وغريض اللبن واللحم : طريه .

بعير بأحلاسها وأقتابها وألف دينار أتى بها النبى ﷺ[1] فنثرها بين يديه وترك نفسه حياطة على الأمة حتى لا يقع بينهم فتنة ، وكان رضى الله عنه يطعم الناس طعام الإمارة ، ويدخل بيته فيأكل الخبز والخل والزيت .

وقال عبد الله بن شداد رأيت عثمان بن عفان يوم الجمعة وعليه إزار عدنى غليظ ثمنه أربعة دراهم ، أو خمسة ، وريطة كوفية ممشقة[2] .

وأما على رضى الله عنه ، فقال بعض الثقات : دخلت علَى علِّى بالخورنق[3] وهو يرعد تحت سمل قطيفة[4] ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، وإن الله قد جعل لك ولأهل بيتك فى هذا المال حظًّا فأنت تصنع بنفسك ما تصنع ؟ فقال : والله ما رزأتكم من مالكم شيئا ، وإنها لقطيفتى ، أى خرجت بها من منزلى ، يعنى من المدينة[5] . واشترى قميصا له بدراهم فلبسه ، فإذا هو يفضل على أطراف أصابعه ، فأمر به فقطع ما فضل عن أطراف أصابعه[6] . وجاءه ابن النباح[7] فقال : امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء . فأتى بيت المال فجمع مستحقيه ، وأعطى جميع ما فيها ، وهو يقول : يا صفراء اصفرى ، ويا بيضاء ابيضى ، غرِّى غيرى ، ها ، وها . حتى ما بقى منه دينار ولا درهم ، ثم أمر بنضحه ، وصلى فيه ركعتين ، رجاء أن يشهد يوم القيامة[8] .

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٧٥) ، وأبو نعيم (١/ ٥٩) فى حلية الأولياء . قوله (أحلاسها) جمع حلس ، وهو كل ما يوضع على ظهر الدابة تحت السرج أو الرحل . قوله : (أقتابها) جمع قتب أى الرحل .

(٢) حلية الأولياء (١/ ٦٠) وتحرف فيها عبد الله بن شداد إلى عبد الملك بن شداد . قوله : (ريطة) الرَّيْطة هى الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ، ولم تكن لفقين ، والجمع ريط ، ورياط .

(٣) الخورنق : هو موضع بالكوفة ، والخورنق أيضا : قصر النعمان بظاهر الحيرة ، بناه سنمَّار صاحب المثل المشهور ، والمعنى الأول هو المراد هنا .

(٤) القطيفة : كساء له خَمْل ، والسمل : الخلق من الثياب ، وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف ، أى قطيفة سمل .

(٥) حلية الأولياء (١/ ٨٢) .

(٦) حلية الأولياء (١/ ٨٣) ، وصفة الصفوة (١/ ٣١٨) .

(٧) هو عامر بن النباح مؤذن على بن أبى طالب ، ويروى عنه ، انظر : طبقات ابن سعد (٣/ ٢٤) .

(٨) حلية الأولياء (١/ ٨١) .

وأتى بفالوذج فوضع قدامه ، فقال : إنك طيب الريح ، حسن اللون ، طيب الطعم ، ولكن أكره أن أعود نفسى مالم تعتده[1] .

قلت : فزهد هؤلاء الخلفاء - لم يكن عن اضطرار ، وإنما كان ذلك منهم اختيارًا ؛ إيثارًا للأفضل من الحال وتواضعا لله عز وجل ، واقتداء بنبيهم ﷺ .

وقد روى الترمذى من حديث سهل بن معاذ عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « **من ترك اللباس تواضعا لله ، وهو يقدر عليه ، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق ، حتى يخيره من أى حلل الإيمان شاء يلبسها** »[2] قال حديث حسن .

وأما طلحة بن عبيد الله - رضى الله عنه - فقال الحسن : باع طلحة بن عبيد الله أرضا بسبع مائة ألف درهم ، فبات ذلك المال عنده ليلة ، فبات أرقًا من مخافة ذلك ، حتى أصبح وفرقه على المساكين[3] . وقال زياد بن حدير رأيت طلحة بن عبيد الله فرق مائة ألف درهم على الناس فى المسجد[4] طرف إزاره بيده[5] . وكان أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - إذا ذكر يوم أحد ، قال ذلك كله يوم طلحة[6] .

وأما الزبير بن العوام - رضى الله عنه - فكان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج ، وكان يقسمه كل ليلة ثم يعود إلى منزله ، ليس معه منه شيء [7] .

---

(١) حلية الأولياء (١/ ٨١) .

(٢) أخرجه الترمذى (٢٥٩٨) ، وأحمد (٣/ ٤٣٩) ، والحاكم (٤/ ١٨٣) ، وأبو نعيم (٨/ ٤٨) فى الحلية ، قال الشيخ الألبانى : حسن ، انظر : صحيح الجامع برقم (٦٠٢١) .

(٣) الزهد لأحمد (ص/ ١٨١) ، حلية الأولياء (١/ ٨٩) ، صفة الصفوة (١/ ٣٤٠) وعزاه لأحمد .

(٤) غير واضحة بالأصل لسقوط المداد على الكلام .

(٥) حلية الأولياء (١/ ٨٨) ، وصفة الصفة (١/ ٣٤١) ونصه كاملا كالتالى : عن سعدى بنت عوف امرأة طلحة قالت : لقد تصدق طلحة يوما بمائة ألف درهم ، ثم حبسه عن الرواح إلى المسجد أن جمعت له بين طرفى ثوبه .

(٦) حلية الأولياء (١/ ٨٧) ، صفة الصفوة (١/ ٣٣٨) .

(٧)الزهد لأحمد (ص/ ١٧٩) ، حلية الأولياء (١/ ٩٠) .

أخرجه الإمام أحمد بن حنبل . وباع دارا بستمائة ألف ، فقيل له : يا أبا عبد الله غبنت ، فقال : كلا والله لتعلمن أنى لم أغبن هى فى سبيل الله تعالى .

ولما كان يوم الجمل جعل يوصى بنيه بدينه ويقول : يابنى إن عجزتم عن شيء فاستعينوا عليه بمولاى ، قال عبد الله بن الزبير : فقلت يا أبت من مولاك ؟ قال : الله . قال : فوالله ما وقعت فى كربة من دينه إلا قلت يا مولى الزبير اقض دين الزبير ، فيقضى دينه من ساعته[1] .

قتل رضى الله عنه و لم يدع دينارا ولا درهما إلا أرضين منها الغابة وإحدى عشرة دارا بمصر ، وإنما كان دينه الذى عليه أن الرجل يأتيه بالمال ويستودعه إياه ، فيقول له الزبير : لا ولكن سلف فإنى أخشى عليه الضيعة ، قال عبد الله : فحسبت ما عليه من الدين فوجدته ألفى ألف ومائتى ألف[2] ، فقضى عنه دينه من تلك التركة حسب ما ذكره البخارى فى صحيحه .

وكان عبد الله ينادى فى الموسم أربع سنين : من كان له على الزبير فليأته . فلما مضى أربع سنين قسمه ، نال الورثة الباقى ، وكان له أربع نسوة ، وأصابت كل امرأة ألف ألف ومائتى ألف ، فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف [3] . ذكره البخارى رحمه الله .

وأما عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فأحد العشرة المشهود لهم بالجنة رضى الله عنهم .

هاجر عبد الرحمن إلى أرض الحبشة الهجرتين ، وشهد المشاهد كلها ، وثبت مع النبى ﷺ يوم أحد ، وصلى رسول الله ﷺ خلفه ركعة ، فى غزوة تبوك ، وقال : « **ما قبض نبى حتى يصلى خلف رجل صالح من أمته** » وكان من مياسير الصحابة وعامة أمواله من التجارة .

---

(١) حلية الأولياء (١/ ٩٠ – ٩١) ، صفة الصفوة (١/ ٣٤٨) .
(٢) حلية الأولياء (١/ ٩١) .
(٣) مسلم (٣/ ١٧٢) ، والنسائى (١/ ٧٧) ، أحمد (٤/ ٢٤٩ – ٢٥٠ ، ٢٥١) .

وقال الزهرى : تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد النبى ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف ، ثم تصدق بأربعين ألف دينار ، ثم حمل على خمس مائة فرس فى سبيل الله ، ثم حمل على مائة ألف ، ومائة راحلة فى سبيل الله ، وقدمت له عير من الشام وكانت سبعمائة راحلة فتصدق بها وبأحمالها وأقتابها ، وأحلاسها فى سبيل الله[1] .

وفى كتاب المستدرك للحاكم أبى عبد الله محمد بن عبد الله عن جعفر بن برقان قال : بلغنى أن عبد الرحمن بن عوف أعتق ثلاثين ألف بيت[2] ، وفيه أن عبد الرحمن كان يقال له حوارى رسول الله ﷺ[3] ، هذا على شرط مسلم من حديث محمد بن إسحاق .

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يأتى أم كلثوم ابنة عقبة فيقول لها هل قال لك رسول الله ﷺ تزوجى عبد الرحمن بن عوف فإنه سيد المسلمين ؟ فتقول نعم .

وروى أن عليا رضى الله عنه قال لعبد الرحمن بن عوف : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنك أمين فى أهل السماء ، أمين فى أهل الأرض »[4] .

قلت : عبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنه وأرضاه - أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وهو أحد الستة الذين أقامهم عمر بن الخطاب ، وأصحاب رسوله الله ﷺ مقام الشورى ، وهو المخصوص من بينهم بترك نصيبه من الخلافة زهدا منه ليختار للمسلمين ما اختار الله لهم ، فبايع عثمان وتمت له البيعة ببيعته ورضيته الأمة أمينا ، وقدمته الصحابة إماما ، صلى رسول الله

---

(١) أخرجه الطبرانى (٢٦٥) ، وأبو نعيم (١/ ٩٩) فى الحلية ، وأورده ابن حجر (٢/ ٤١٦) فى الإصابة ، وإسناده منقطع .

(٢) الحاكم (٣/ ٣٠٨) فى مستدركه .

(٣) الحاكم (٣/ ٣٠٩) فى مستدركه .

(٤) الحاكم (٣/ ٣١٠) فى مستدركه ، وتعقبه الذهبى بقوله : قلت : أبو المعلى هو فرات بن السائب تركوه ، وأورده أبو نعيم (١/ ٩٨) فى الحلية ، وفيه أبو المعلى .

ﷺ خلفه ركعة واحدة أدركها وراءه ولم يصل خلف أحد من الصحابة سواه ، والصديق . وهو القائم لله فى ماله بحقه ، وكان من الذين قال رسول الله ﷺ : « **إلا من قال بالمال هكذا وهكذا** » إلى غير ذلك من مناقبه وفضائله .

فلا تلتفت إلى ما روى أنه آخر من يدخل الجنة ، وأنه يحبو يوم القيامة حبوا ، وأعوذ بالله أن يحبو عبد الرحمن فى القيامة لأجل ماله وغناه . أفترى من سبق ، وهو من العشرة ، ثم من الستة الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، ومن أهل بدر والحديبية يحبو ، معاذ الله .

قال الله تعالى : ﴿ **لَايَسْتَوِى مِنكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتحِ وَقَاتَلَ** ﴾[1] الآية .

وقال تعالى : ﴿ **لَقَدْ رَضِىَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحتَ الشَّجَرةِ** ﴾[2] الآية . وحسبك بهذا فضلا .

ثم الحديث الذى يروونه إنما يرويه عمارة بن زاذان ، قال البخارى فيه : ربما اضطرب حديثه ، وقال أحمد : يروى عن أنس أحاديث مناكير ، وقال أبو حاتم الرازى : لا يحتج بحديثه ، وقال الدارقطنى : ضعيف .

وقد ذكر المحاسبى وغيره أن عبد الرحمن لما توفى قال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ : إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك ، فقال كعب : سبحان الله ، وما تخافون على عبد الرحمن ، كسب طيبا ، وأنفق طيبا ، وترك طيبا ، فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مغضبا يريد كعبا ، بلحى بعير ، فأخذ بيده ثم انطلق يطلب كعبا ، فقيل لكعب إن أبا ذر يطلبه فخرج هاربا ، حتى دخل على عثمان ، يستغيث به وأخبره الخبر ، وأقبل أبو ذر ينقض الأثر فى طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان ، فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربًا من أبى ذر ، فقال أبو ذر : يا ابن اليهودية تزعم أن لا بأس مما ترك عبد

---

(١) سورة الحديد : ١٠ .

(٢) سورة الفتح : ١٨ .

الرحمن ، لقد خرج رسول الله ﷺ يوما فقال « **الأكثرون هم الأقلون إلا من قال هكذا** »[1] .

قال علماؤنا رحمة الله عليهم : هذا حديث باطل لايثبت ، ومحال من وضع الجهال .

وقد روى بعض هذا إلا أن طريقه لا يثبت لأن فى سنده ابن لهيعة وقد تكلم فيه ، قال يحيى : لا يحتج بحديثه ، والصحيح فى التاريخ أن أبا ذر توفى سنة خمس وعشرين ، وعبد الرحمن بن عوف سنة اثنين وثلاثين ، فقد عاش بعد أبى ذر سبع سنين .

قلت : ومما يدل على وضعه فى الحديث نفسه ، وهو قول أبى ذر يا ابن اليهودية وهذا منه تعيير وقد وبخه النبى ﷺ على ذلك كما فى صحيح مسلم ، عنه قال « كان بينى وبين رجل من إخوانى خصومة ، فعيرته بأمه فشكانى إلى النبى - ﷺ - فقال « **يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية** » ، فقلت : يا رسول الله من سب الرجال سبوا أباه وأمه ، فقال : « **يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية** »[2] الحديث . أفترى أن أبا ذر بعد توبيخ النبى ﷺ له يقع فيما وبخ فيه ، هذا بعيد على من دونه ، فكيف به - رضى الله عنه وأرضاه .

وأيضا قوله : «**الأكثرون هم الأقلون إلا من قال هكذا وهكذا**» وعبد الرحمن بن عوف ممن قال هكذا وهكذا حسب ما ذكرناه ، والحديث باطل من وضع الجهال .

وكما قال علماؤنا فلا يلتفت إليه ولا يعول عليه ، ثم إن عبد الرحمن أفضل من أبى ذر بما لا يتقارب بماله من السبق وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، فهو من السابقين إليها الفائزين بها ، فلا يلتفت إلى غير هذا ، وبالله التوفيق والعصمة وسيأتى لهذا مزيد بيان فى الباب بعد هذا إن شاء الله تعالى .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) البخارى (١/ ١٤) بنحوه ، ومسلم (١١/ ١٣٤) .

فى فضل من أخذ المال بحقه وأنفقه فى حقه

أخرج البخارى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن هذا المال خضرة حلوة من أخذه بحقه ، ووضعه فى حقه فنعم المعونة هو ، ومن أخذه بغير حق كان كالذى يأكل ولا يشبع** »[1] .

وروى مسلم عن أبى ذر عن النبى ﷺ قال : « **إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيرا فينفخ فيه بيمينه ، وشماله ، وبين يديه ، ووراءه ، وعمل فيه خيرًا** »[2] .

وأخرج الترمذى عن خولة بنت قيس وكانت تحت حمزة بن عبد المطلب قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن هذا المال خضرة حلوة من أصابه بحقه بورك له فيه ، ورب متخوض فيما شاءت نفسه من مال الله ورسوله ، ليس له يوم القيامة إلا النار** »[3] . قال هذا حديث حسن صحيح .

وأخرج عن أبى كبشة الأنمارى قال : إنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « **ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه ، قال : ما نقص مال عبد من**

---

(١) البخارى (٤/ ٣٢) ومسلم (٧/ ١٢٦) ، والنسائى (٥/ ٦٠) ، وابن ماجه (٤٠٠٠) ، وأحمد (٣/ ٧ ، ١٩ ، ٢١) ، (٤/ ٦٨ ، ٩٢ ، ٩٨) ، (٦/ ٦٨ ، ٣٦٤) .

(٢) البخارى (٨/ ١١٦) ، ومسلم (٧/ ٧٦) .

(٣) الترمذى (٢٤٨٠) ، قال الشيخ الألبانى : صحيح ، انظر : صحيح الجامع برقم (٢٢٤٧) . قوله : (ورب متخوض) أى متسارع ومتصرف ، وأصل الخوض المشى فى الماء ، وتحريكه ، ثم استعمل فى التلبيس بالأمر ، والتصرف فيه ، أى رب متصرف فى مال الله بما لا يرضاه الله ، أى يتصرفون فى بيت المال ، ويستبدون بمال المسلمين بغير قسمة .

صدقة ، ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزا ، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر » أوكلمة نحوها « **وأحدثكم حديثا فاحفظوه . قال : إنما الدنيا لأربعة نفر : عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقى فيه ربه ، ويصل فيه رحمه ، ويعلم لله فيه حقًّا ، فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول : لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان ، فهو بنيته فأجرهما سواء ، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما ، يخبط فى ماله بغير علم ، لا يتقى فيه ربه ، ولا يصل رحمه ، ولا يعلم لله فيه حقًّا ، فهذا بأخبث المنازل ، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول : لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء »**[1] قال : حديث حسن صحيح .

فصل

قال علماؤنا رحمة الله عليهم : أبان معنى هذا الباب فضل المال وخبثه ، وأن صاحبه إذا أنفقه فى حقه ، ووضعه فى حقه ، كان فى أرفع المنازل ، والدرجات ، وأعلى المقامات والغرفات ، كما نص عليه التنزيل فى قوله تعالى : ﴿ **وَمَآ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بالَّتِى تُقَرِّبُكُم عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُم فِى الغُرُفَاتِ آمِنُونَ** ﴾[2] . والآيات فى مدح المال كثير لمن تأمل كتاب الله وذلك مما يدلك على كسبه واتجاره وجمعه .

كان سعيد بن المسيب يقول : لا خير فى من لا يطلب المال ، يقضى به دينه ، ويصون به عرضه ، فإن مات تركه ميراثا لغيره .

---

(١) الترمذى (٢٤٢٧) وقال : حسن صحيح ، وأخرجه أحمد (١/ ١٩٣) ، (٤/ ٢٣١) ، والبغوى (٥٢٨٧) فى المشكاة ، قال الشيخ الألبانى : صحيح ، انظر : صحيح الجامع برقم (٣٠٢١) .

(٢) سورة سبأ : ٣٧ .

وقال رسول الله ﷺ : لسعد : « **إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس** »[1] وقال : « **ما نفعنى مال قط ما نفعنى مال أبى بكر** »[2] .

وقال لعمرو بن العاص « **نعم المال الصالح للرجل الصالح** »[3] . ودعا لأنس فقال « **اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه** »[4] وهذا كله ثابت فى الصحيح .

وخلف سعيد بن المسيب أربع مائة دينار ، وسفيان الثورى مع زهده وتقشفه مائتين ، وقال : لأن أخلف عشرة آلاف درهم ، وأحاسب عليها خير لى أن أحتاج إلى الناس . وكان يقول : المال فى هذا الزمان سلاح .

وقال له رجل : يا أبا عبد الله تمسك هذه الدنيا ؟ قال : اسكت فلولا هذه الدنانير لتمندل بى[5] هؤلاء الملوك . وفى هذا المعنى قال عبد الرحمن بن عوف : حبذا المال أصون به عرضى ، أقرضه ربى فيضاعفه لى أضعافا كثيرة .

ومازال السلف يمدحون المال ويجمعونه للمنائب وإعانة الفقراء وأكثر الصحابة كسبوا المال ، وخلفوه . خلف طلحة ثلاث مائة بنهار صار فى كل نهار ثلاثة قناطير والقنطار واليها أجمل . وكان مال الزبير خمسين من ألف ألف ومائتى ألف ، وخلف ابن مسعود تسعين ألفا .

---

(١) البخارى (٢/ ١٠٣) ، ومسلم (١١/ ٧٧) ، وأبو داود (٢٨٦٤) ، والترمذى (٢٧٩٩) وقال : حسن صحيح ، والنسائى (٦/ ٢٤١) ، وابن ماجه (٢٧٠٨) ، وأحمد (١/ ١٧٣ ، ١٧٦) .

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٣ ، ٣٦٦) ، وابن ماجه (٩٤) ، قال الشيخ الألبانى : صحيح ، انظر : صحيح الجامع برقم (٥٦٨٤) .

(٣) أحمد (٤/ ١٩٧) ، (٤/ ٢٠٢) ، وأورده الحافظ الهيثمى (٤/ ٦٤) فى مجمع الزوائد ، وقال : رواه أحمد والطبرانى فى الكبير والأوسط ، وأبو يعلى بنحوه ، ورجال أحمد وأبى يعلى رجال الصحيح ، وقال الحافظ العراقى (٤/ ١٠١) الإحياء : رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى من حديث عمرو بن العاص ، بسند جيد .

(٤) البخارى (٨/ ١٠١) ، ومسلم (١٦/ ٣٩) ، وأحمد (٦/ ٤٣٠) ، والترمذى (٤٠٨١) والبخارى (٨٨ ، ٦٥٣) فى الأدب المفرد ، الطبرانى (١/ ٢٢١) فى الكبير ، والبيهقى (٣/ ٩٦) فى السنن ، وأبو نعيم (٨/ ٢٦٧) فى حلية الأولياء ، والبغوى (٦١٩٩) فى المشكاة ، (١٤/ ١٨٨) فى شرح السنة .

(٥) تمندل : أى تمسح وتعلق .

وروى أبو مسعود قال : كان رسول الله ﷺ يأمر بالصدقة فينطلق أحدنا يتحامل حتى يجيء بالمُدِّ ، وإن لأخيرهم اليوم مائة ألف . قال شقيق : كان يعرض بنفسه [1] . وهذا إسناد صحيح . أخرجه ابن ماجه فى سننه قال : حدثنا عبد الله بن نمير وأبو بكر قالا : حدثنا أبو أسامة عن زائدة عن الأعمش فذكره مسلم بمعناه[2] .

والإجماع انعقد على إباحة جمع المال بقوله تعالى : ﴿ **فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا** ﴾[3] . وقوله تعالى : ﴿ **إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ** ﴾[4] . وقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُم وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِنَ الأَرْضِ** ﴾[5] . إلى غير ذلك من الآيات .

فأباح الله تعالى كسب المال ليوصل به إليه من جهاد عدو ، وإعانة فقير ، وإطعام مسكين وعون مظلوم ، وإغاثة ملهوف . ومتى صح القصد فيه فجمعه أفضل ، بلا خلاف عند العلماء . قلت : وإذا تقرر هذا فهو يدل على بطلان ما ذكروه ، ويروونه من أن عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة آخرًا ، ويحبو حبوًا ، ثم تعلقهم بعبد الرحمن بن عوف دليل على جهلهم ، إذ لم يروا سير الصحابة الذين خلفوا الأموال ، ولا سير السلف الصالح الذين بهم القدوة وفيهم الأسوة ، لولا التطويل لذكرنا من ذلك العدد الكبير من النبيين صلوات الله عليهم أجمعين ، وغيرهم رضى الله عنهم .

وقد أخرج الطبرانى سليمان بن أحمد قال : حدثنا محمد بن الفضل الثقفى قال : حدثنا سعيد بن سليمان الواسطى عن أبى أسامة عن هشام بن عروة

---

(١) البخارى (٦/ ٨٥) ، وأحمد (٥/ ٢٧٣) ، والنسائى (٥/ ٥٩) ، وابن ماجه (٤١٥٥) .
(٢) كذا بالأصل ، ولم أعثر عليه فى صحيح مسلم .
(٣) سورة الأنفال : ٦٩ .
(٤) سورة النساء : ٢٩ .
(٥) سورة البقرة : ٢٦٧ .

عن أبيه قال : أدركت سعد بن عبادة ومنادٍ ينادى على أطمة : من أحب شحماءولحماء فليأت سعدا ، ثم أدركت ابنه قيسا ينادى على ذلك قال ، قال سعد بن عبادة : اللهم هب لى حمدًا ، وهب لى مجدًا ، لا مجد إلا بفعال ولا فعال إلا بمال ، اللهم إنه لا يصلح لى القليل ولا أصلح عليه[1] . وحسبك بالصديق القائل عند موته لابنته عائشة رضى الله عنها : والله ما أحد أحب بعدى منك ، ولا أعز بعدى فقرًا منك .

---

(١) أخرجه ابن سعد (٣/ ٢/ ١٤٣) ، والحاكم (٣/ ٢٥٣) ، وأورده الذهبى (١/ ٢٧٦) .

فى بيان قوله عليه السلام : « لكل أمه فتنة وفتنة أمتى المال » .

وبيان قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَابِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ** ﴾[1] الآية أخرج الترمذى عن كعب بن عياض قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتى المال** »[2] . قال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

(فصـل)

قال علماؤنا رحمة الله عليهم : هذا خبر منه ﷺ بأن كل الأمم افتتنت فأمم منهم افتتنوا عن توحيده بالأصنام فعبدوها ، وقوم بالشمس فتألهوها ، وقوم بالقمر ، وقوم بالكواكب ، وقوم نبى كان فيهم وهم اليهود عبدوا عزيرا ، وقالوا : ابن الله ، ومنهم من افتتنوا بالعجل يعبدونه ، والنصارى افتتنوا بعيسى فقال قوم منهم : هو الإله . وآخرون منهم قالوا هو ابن الله وجعل فتنة هذه الأمة فى حب الدينار والدرهم فغلب على أكثرهم حب المال فكدر عليهم عبودية المتكبر المتعال كما غلب على أكثر الأمم فتنة شرك الأسباب فى توحيد رب الأرباب .

قلت : وقد احتج بهذا ، وما كان فى معناه من لا يرى جمع المال واكتسابه ، واتخاذه واقتناءه لما ينشأ فيه من المفاسد ويحرم صاحبه من الخيرات والفوائد ولا حجة لهم فى ذلك لأن الناس مختلفون بحال فى ذلك وقد كشف هذا حديثان :

---

(١) سورة طه : ١٣١ .

(٢) أحمد (٤/ ١٦٠) ، والترمذى (٢٤٣٩) وقال : حسن غريب ، إنما نعرفه من حديث معاوية بن صالح ، والحاكم (٤/ ٣١٨) ، والبغوى (٥١٩٤) فى المشكاة ، قال الشيخ الألبانى : صحيح ، انظر : السلسلة الصحيحة (٥٩٤) ، صحيح الجامع (٢١٤٤) .

أحدهما حديث أبى كبشة الأنمارى وقد تقدم فى الباب قبل .

والثانى : مارواه البخارى وابن ماجه وغيرهما عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **تعس عبد الدنيا تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد القطيفة تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش إن أعطى رضى وإن منع سخط** »[1] . **ثم قال** ﷺ **فى تمامة** : « **طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله أشعث رأسه ، مغبرة قدماه ، إن كانت الحراسة ، كان فى الحراسة ، وإن كانت الساقة ، كان فى الساقة ، يطلب الموت من مكانه ، إن أعطى شكر ، وإن منع صبر** »[2] .

قال علماؤنا : فميز ﷺ بين عبد المال والهوى ، وبين العبد الخالص للمولى ، فذلك دعا عليه بسيىء الدعاء ليرجع إلى المولى ، والمخلص خصه بحبذا ، وهى درجة المحبوبين الأولياء ، فالمال إذا شغل عن ذكر الله ، وعن القيام بحقوقه ، فبئس المال ، وإذا لم يمنع عن ذلك فنعم المال كما قال عليه الصلاة والسلام : « **نعم المال الصالح للرجل الصالح** »[3] . لكن لما كانت سلامة الدين مع ذلك نادرة ، والفتن والآفات من ذلك غالبة ، تعين التقلل منه والفرار ، وأن لا يأخذ المرء منه إلا ما يكفيه عند الحاجة والاضطرار . وقد قال أرباب الفهوم : ما يشغلك عن الله من أهل أو مال ، فهو عليك مشئوم . وقال يحيى بن المتوكل كنت أمشى مع سفيان الثورى فمررت برجل بنى بناء وشيده ، فقال : لا تنظر إليه ، إنما بناه لينظر إليه .

وقال هشام بن عروة : كان أبى إذا دخل على من عنده شيء من زينة الدنيا أسرع الرجوع إلى أهله ، وقام بالباب ، ونادى ﴿ **وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا** ﴾[4] إلى آخر الآية ، ثم ينادى الصلاة الصلاة فيقومون فيصلون أجمعون .

---

(١) البخارى (٨/ ١١٥) ، وابن ماجه (٤١٣٥) ، (٤١٣٦) .
(٢) البخارى (٤/ ٤٢) بنحوه .
(٣) سبق تخريجه .
(٤) سورة طه : ١٣١ .

فى حقارة الدنيا وهوانها على الله تعالى أخرج الترمذى عن سهل بن سعد قال قال رسول الله ﷺ : « **لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء** »[1] وأنشدوا :

تسمع من الأيام إن كنت حازما ... فإنك فيها بين ناه وآمر
إذا أبقت الدنيا على المرء دينه ... فما فاته منها فليس بضاير
ولن تعدل الدنيا جناح بعوضة ... ولا وزن من جناح لطائر
فما رضى الدنيا ثوابا لمؤمن ... ولا رضى الدنيا جزاء لكافر

وأخرج مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ مر بالسوق داخلا من بعض العالية ، والناس كنفتيه فمر بجدى أسك ميت فتناوله ، فأخذ بأذنه ، ثم قال : « **أيكم يحب أن هذا له بدرهم ؟** » فقالوا ما نحب أنه لنا بشىء ، وما نصنع به ، قال : « **تحبون أنه لكم ؟** » . قالوا : والله لو كان حيًّا لكان عيبا فيه لأنه أسك ، فكيف وهو ميت . قال « **فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم** »[2] .

ويروى عن النبى ﷺ قال « **من هوان الدنيا على الله تعالى أن لا يعصى إلا فيها ، ولا ينال ما عنده إلا بتركها** »[3] .

---

(١) أخرجه الترمذى (٢٤٢٢) وقال : حديث صحيح غريب من هذا الوجه ، قال الشيخ الألبانى – حفظه الله – صحيح ، انظر : صحيح الجامع (٥١٦٨) ، والسلسلة الصحيحة برقم (٩٤٠) .

(٢) أخرجه مسلم (١٨/ ٩٣) ، وأحمد (٣/ ٣٦٥) . [من معانى الحديث وفوائده]:

قوله : (كنفتيه) أى جانبيه .

قوله : (جدى أسك) أى صغير الأذنين .

قوله : (أيكم يحب ؟) استفهام إرشاد وتنبيه .

ومن فوائده : ١ – الدنيا أذل وأحقر عند الله من هذا الجدى الميت عند الناس . ٢ – لمس النجس إذا لم تكن رطوبة من أحد الجانبين لا ينجس .

(٣) أورده الإمام القرطبى بصيغة التضعيف ، و لم أجده فيما تحت يدى من كتب .

فصـل

قال علماؤنا رحمة الله عليهم : معنى هوان الدنيا على الله هو : أنه لم يجعلها مقصودة لنفسها بل جعلها طريقا موصلا إلى غيرها ، وأنه لم يجعلها دار إقامة ، ولا جزاء وإنما جعلها دار رحلة وبلاء وآتاها فى الغالب الكفرة والجهال وحماها الأنبياء والأولياء الأبدال ، وحسبك بها هوانا أن الله تعالى صغرها ، وحقرها ، وذمها وأبغضها وأبغض أهلها ، ومحبيها و لم يرض لعاقل فيها إلا بالتزهد ، وذمها والتأهب للارتحال عنها ، ومع هوانها لابد للإنسان منها لأنها السبيل المقصود ، والطريق المحمود .قال ﷺ : « **لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن ، عليها يبلغ الخير ، وبها ينجو من الشر** »[1] .

وذم رجل الدنيا عند على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال على : الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار نجاة لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن تزود منها .

وقال محمود الوراق فأحسن :

لا تتبع الدنيا وأيامها ذما … إذا دارت بك الدائـرة
من شرف الدنيا ومن فضلها … أن بها تشتد درج الآخرة

وبالجملة فللعبد فى كل وقت من أوقاتها حالة فيها صفة محمودة ، أو مذمومة ، وبتلك الصفات تتعلق الأحكام ، وعليها يترتب الثواب والعقاب ، فإن لم يكن فى الدنيا خير من وجه فلا غنى بها من أخذ به يعود خيرا ، لأنها مطيه السائر ، وزاد المسافر ، وقنطرة العابر ، لا دار العامد ، وجهد المقل يقتنص منها ولا يستكثر ويتقوت منها ولا يدخر ، ومثالها الصارم تصلح للعادل

---

(١) الفردوس (٧٢٨٨) ، وأورده السيوطى (١/ ٨٩١) فى الجامع الكبير ، وعزاه للديلمى وابن النجار ، من حديث ابن مسعود ، وفى إسناده السرى بن إسماعيل ، قال الحافظ : متروك الحديث ، وكذبه يحيى القطان ، انظر ترجمته فى : تاريخ ابن معين (٣/ ٤٤١) ، التاريخ الكبير للبخارى (٢/ ١٧٦) ، والضعفاء الصغير (٥٦) ، الضعفاء للعقيلى (٦٩٧) ، الجرح والتعديل لابن أبى حاتم (٢/ ٢٨٢) ، المجروحين (١/ ٣٥٥) ، الكامل لابن عدى (٣/ ١٢٩٥) ، الميزان (٢/ ١١٧) ، التقريب (١/ ٢٨٥) .

والظالم فيصرفه كل واحد منهما على نيته ، وحب إرادته ، فما كان من الدنيا يقرب إلى الله تعالى ويعين على عبادته فهو المحمود بكل لسان ، والمحبوب لكل إنسان ، ومثل هذا فلا يسب بل يرغب فيه فيحب وإليه الإشارة بالاستثناء فى حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ : « **الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله ، وما والاه ، وعالمٌ أو متعلمٌ** »[1] . أخرجه الترمذى وقال : حديث حسن غريب .

وروى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنه قال : يؤتى بالدنيا يوم القيامة فيقول الرب تبارك وتعالى خذوا ما لنا فيها وألقوا سائرها فى النار .

---

(١) أخرجه الترمذى (٢٤٢٤) وقال : حديث حسن غريب ، وابن ماجه (٤١٢٢) ، قال الشيخ الألبانى - عفا الله عنه - حسن ، انظر : صحيح الترغيب (١/ ٥٦) ، صحيح الجامع (١٦٠٥) .

فى بيان الدنيا وفيما جعل مثلا لها

قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا مَثَلُ الحيَاةِ الدُّنيَا كَمَاءٍ أَنزلنَاهُ منَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنعامُ حَتَّى إِذَا أَخذَتِ الأَرضُ زُخْرُفَها وَازَّيَّنتْ وَظَنَّ أَهلُها أَنَّهم قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاها أَمْرُنا ليْلا أَونهارًا فجَعلْناهَا حصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بالأَمْسِ** ﴾[1] . وقال تعالى : ﴿ **اعْلَمُواْ أنّما الحَيَاةُ الدُّنيا لَعبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفاخُرٌ بَينَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلَادِ كمثلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّار نَبَاتُهُ ثُم يَهِيجُ فَتَراه مُصْفَرًّا ثُم يَكُونُ حُطَامًا** ﴾[2] . وقال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُم يُخرِجُ بِهِ زَرْعًا مُختَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يجْعَلُهُ حُطَامًا** ﴾[3] . إلى غير ذلك من الآيات . وقال تعالى : ﴿ **فَلْيَنْظُرِ الإنسانُ إِلَى طَعَامِهِ** ﴾[4] .

وأخرج ابن أبى خيثمة عن الضحاك بن سفيان قال : قال لى رسول الله ﷺ : « **يا ضحاك ما طعامك ؟** » قلت : اللحم واللبن ، قال : « **ثم يصير إلى ماذا ؟** » قلت : إلى ما قد علمت يا رسول الله ، قال : « **فإن الله قد جعل ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا** »[5] .

---

(١) سورة يونس : ٢٤ .
(٢) سورة الحديد : ٢٠ .
(٣) سورة الزمر : ٢١ .
(٤) سورة عبس : ٢٤ .
(٥) أحمد (٣/ ٤٥٢) ، الطبرانى (٨١٣٨) فى الكبير ، وأورده الهيثمى (١٠/ ٢٨٨) فى مجمع الزوائد ، وقال : رجال الطبرانى رجال الصحيح غير على بن زيد بن جدعان ، وقد وثق ، انظر كلام الشيخ الألبانى على الحديث فى السلسلة الصحيحة (٣٨٢) .

وقال أبى بن كعب قال النبى ﷺ : « **إن مطعم ابن آدم جعل مثلا للدنيا وإن قزحه وملحه فلينظر إلى ما يصير** »[1] .

وقال أبو الوليد سألت ابن عمر عن الرجل يدخل الخلاء فينظر إلى ما يخرج منه قال : فيأتيه الملك فيقول : انظر إلى ما تحلت به إلى ما صار .

فصل

قال علماؤنا رحمة الله عليهم : فى ضرب الله تعالى المثل فى الدنيا بالماء المنزل من السماء بدائع تسع : **الأولى** : أن المطر لا يستنزل بالحيلة ، كذلك الدنيا لا تنال إلا بالغنيمة .

قال الله تعالى : ﴿ **نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَعِيشَتَهُم فِى الحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾[2] .

الثانية : أنه وإن كان المطر لا يجىء إلا بتقدير فإنه يستنزل بالرغبة والسؤال كذلك الرزق يلتمس من الله .

قال تعالى : ﴿ **وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ** ﴾[3] .

الثالثة : أن الماء إذا جاء به نفع وإذا زاد على الحاجة ضر كذلك المال إذا كان بقدر الكفاية فصاحبه فى نعيم ، وإذا زاد فصاحبه فى نصب وطغيان .

الرابعة : أن الماء إذا كان جاريا كان طيبا ، وإذا اختزن تغير . كذلك المال إذا أجراه صاحبه فى مجاريه فطاب ، وإذا احتجبه خبث عليه وغاب ، قال الله تعالى : ﴿ **وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بما آتاهُمُ اللهُ من فَضْلِهِ هُوَ خيرًا لَّهم بَلْ هو شرٌّ لَّهم سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ** ﴾[4] .

---

(١) أخرجه ابن حبان (٢٤٨٩) ، وعبد الله بن أحمد فى زوائد المسند (٥/ ١٣٦) ، الطبرانى (٥٣١) فى الكبير ، قال الهيثمى (١٠/ ٢٨٨) رواه عبد الله والطبرانى ، ورجالهما رجال الصحيح . قوله (قزحه) القزح هو التابل ، وهو الذى يطرح فى القدر كالكمون والكزبرة ، ونحو ذلك .

(٢) سورة الزخرف : ٣٢ .

(٣) سورة النساء : ٣٢ .

(٤) سورة آل عمران : ١٨٠ .

الخامسة : أن الماء إذا كان طاهرًا صلح للثياب والعبادات ، وإذا كان نجسًا لم يصلح للعبادة . كذلك المال إذا كان حلالا استقام به المعاش والطاعة وخلص من التباعة ، وإذا كان حراما أن[1] عزيته فقد أبدى عورته ، وإن جوعته فقد أسقط حرمته .

السادسة : أن الماء إذا أثار عنه النبات وخرجت به الأشجار ، وأينعت به الثمار ، واختلفت عليه المناظر للنظار ، لا يأمن أن تصيبه آفة من غير أسباب ، وتنقلب عليه الحال بما لم يكن فى الحسبان ، وكذلك المال إذا نمى بيد صاحبه وتفنن فى أنواعه ، وعمم به جميع لذاته ، وكثرت عليه الأعداد من الأزواج والأولاد ، ورأى أن أحواله صافية ومراتبه عالية ، ومقاديره غالية ، وأمواله متدانية ، ورياض ترابه زاهرة ، وغصون أنسه متداولة إذا بالدمار قد أخذ الديار ، والذهاب قد جرى عن الأحباب ، والأموال قد ابتسمت بيد الانتهاب ، واختطف هو من بينها أرجى ما كان لها ، وأحوجه عليها ، وأغبطه بها ، وأشوقه إليها ، وفى هذا المعنى يقول المغربى :

فقدناه لمّا تم واعتز بالعلى   كذاك كسوف البدر عند تمامه

السابعة : قوله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ﴾[2] إن كان هذا عن جائحة فهذه الآية والتى بعدها سواء .

وإن كان هذا الزرع الذى أخرج حبه بذر قشرة ، فصار هشيما تذروه الرياح أو زائلا تتكرم به الأرض وتتدافع فيكون ذلك لبديعه مثلا وهى :

الثامنة : أن المال إذا أخذ منه العبد حاجته فى المعاش ، وأرسل باقيه فى الشهوات كان معدوما فى حق الدنيا هشيما ، صار به صاحبه ملومًا ، وصار وقته مذمومًا .

---

(١) بياض بالأصل .

(٢) سورة الكهف : ٤٥ .

التاسعة : فى وجه الذكر أبان الزرع يخرج مختلف الألوان ثم يهيج فتراه مصفرا ، ثم يجعله حطاما ، التنبيه باختلاف أحوال الزرع من حين خلقه واستنباته إلى إتيان على المرء من أول نشأته إلى وفاته ، والزرع لا يخرج زرعه إلا بعد الجفاف ، كذلك المرء لا يطيب عمله إلا إذا راضى نفسه ، وأزال[1] قبل أن يرد إلى أرذل العمر وهو حال الضعف فى القوة ، والوهن فى الأعضاء ، وقد كان النبى ﷺ يقول : « **اللهم إنى أعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر** »[2] . وأما بمثل النبى ﷺ فما الدنيا بما يخرج الإنسان فبين المعنى ، وقد مثلها بعض الفضلاء بالجيفة التى تجتنبها الكلاب فقال :

وَمَا هِيَ إِلَّا جِيفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ ... عَلَيْها كِلابٌ هَمُّهُنَّ اجتِذَابُهَا

فإنْ تَجْتَنبْها كُنْتَ سِلْمًا لأَهلها ... وَإن تَجْتَذِبْهَا نَازَعَتكَ كِلابُها

فَطُوبَى لنَفسٍ أُولِعتْ قَعْرَدَارِها ... مُغلَّقَةَ الأَبْوابِ مُرْخَى حِجابُها

الأبيات للشافعى رحمه الله(*) .

---

(١) غير واضح بالأصل ، لسقوط مداد على الكتابة .

(٢) أخرجه النسائى (٨/ ٢٥٦) .

(*) ديوان الإمام الشافعى (ص/ ٥١) طبعة دار ابن زيدون .

فى أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر

أخرج مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر** »[1] .

فصل

إنما كانت الدنيا سجنا لأن المؤمن فيها مقيد بقيود التكاليف ، فلا يقدر على حركة ولا سكون إلا أن يفسح له الشرع ، فيفك قيده ويمكنه من الفعل أو الترك ، مع ما هو فيه من أنواع البلايا والمحن ، ثم هو فى هذا السجن على غاية الخوف والوجل ، إذ لا يدرى بما يختم له من عمل . والكافر منفك عن تلك التكاليف ، آمن من تلك المخاوف ، مقبل على لذاته ، منهمك فى شهواته ، مغتر بمساعدة الأيام ، يأكل ويتمتع كما تفعل الأنعام ، وعن قريب يستيقظ من هذه الأحلام ويحصل فى السجن الذى لا يرام .

حكاية : كان سهل الصعلوكى الفقيه الخراسانى الحنفى ممن جمع رئاسة الدين والدنيا ، خرج عليه يوماً وهو فى موكبه فى مسخن حمام يهودىٌّ فى أطمارسجم من خانه فقال : ألستم تروون عن نبيكم ﷺ أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر . وأنا عبد كافر وترى حالى ، وأنت مؤمن وترى حالك ، فقال له على البديهة : إذا أنت صرت غدًا إلى عذاب الله كانت هذه جنتك ، وإذا صرت أنا إلى نعيم الله ورضوانه ، كان هذا سجنى . فعجب الخلق من فهمه وبراعته . والحديث صحيح جدا . ومن الحديث الحسن « **الدنيا سجن المؤمن وسنته ، فإذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة** »[2] . ذكره القاضى أبو بكر بن العربى فى سراج المريدين له .

---

(١) مسلم (١٨/ ٩٣) ، والترمذى (٢٤٢٦) ، وابن ماجه (٤١١٣) ، وأحمد (٢/ ١٩٧) ، (٢/ ٣٢٣ ، ٣٨٩ ، ٤٨٥) .

(٢) أحمد (٢/ ١٩٧) ، والحاكم (٤/ ٣١٥) فى مستدركه ، قال الشيخ الألبانى : ضعيف ، انظر : تخريج المشكاة برقم (٥٢٤٩) ، وضعيف الجامع (٣٠١٥) . قوله : (السنة) : أى الجدب .

في قوله عليه الصلاة والسلام : « **ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا** » .

أخرج الترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **استحيوا من الله حق الحياء** » . قلنا : يا رسول الله إنا لنستحيي والحمد لله ، قال : « **ليس ذاك ، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وأن تذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء** »[1] . قال حديث غريب .

في بيان زينة الدنيا قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا** ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنيَا** ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ** ﴾[4] الآية .

وننظر إلى هذا من السنة قوله عليه السلام : « **إن الدنيا خضرة حلوة والله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون** »[5] .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « **إن أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا** » . قالوا : وما زهرة الدنيا ؟ قال : « بركات الأرض »[6] . أخرجهما مسلم من حديث أبي سعيد الخدرى .

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٧) ، والترمذى (٢٥٧٥) ، والحاكم (٤/ ٣٢٣) ، والطبرانى (٣/ ٢٤٦) فى الكبير ، (١/ ١٧٧) فى الصغير ، وأبو نعيم (٤/ ٢٠٩) فى الحلية ، والبغوى (١٦٠٨) فى المشكاة ، قال الشيخ الألبانى : حسن ، انظر : صحيح الجامع (٩٤٨) .

(٢) سورة الكهف : ٧ .

(٣) سورة الكهف : ٤٦ .

(٤) سورة آل عمران : ١٤ .

(٥) مسلم (١٧/ ٥٥) ، والترمذى (٢٢٨٦) ، وابن ماجه (٤٠٠٠) ، وأحمد (٣/ ٧ ، ١٩ ، ٦١) .

(٦) البخارى (٤/ ٣٢) بمعناه ، ومسلم (٧/ ١٤٣) .

والمعنى أن الدنيا مستطابة فى ذوقها ، معجبة بمنظرها كالتمر المستحلى المعجب للرائى ، فابتلى الله بها عباده ، لينظر من أحسن عملًا ، أى من أزهد فيها ، وأترك لها على ما تقدم . ولا سبيل للعباد إلى بعض ما زين الله إلا بقوته على ذلك .

ولهذا كان عمر رضى الله عنه يقول فيما ذكر البخارى : اللهم إنا لا نستطيع أن نفرح بما زينته لنا ، اللهم إنى أسألك أن أنفقه فى حقه . فدعا الله أن يعينه على إنفاقه فى حقه[1] .

وهذا معنى قوله ﷺ : « **فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس كان كالذى يأكل ولا يشبع** »[2] ، وهذا هو المكثر من الدنيا لا يقنع بما يحصل له من الدنيا بل همه جمعها ، وذلك لعدم الفهم عن الله ورسوله ، فإن الفتنة معها حاصلة وعدم السلامة غالبة كما تقدم . وقد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه .

---

(١) البخارى (٨/ ١١٦) .

(٢) سبق تخريجه .

في بيان قوله عليه السلام : « **من رغب عن سنتي فليس مني** »

روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن أنس قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي - ﷺ - يسألون عن عبادة النبي - ﷺ - فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا : وأين نحن من النبي - ﷺ - قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فقال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا ، وقال الآخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر أبدًا ، وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا ، فجاء رسول الله ﷺ فقال : « **أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني** »[1] .

وأخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال : أراد عثمان بن مظعون أن يتبتل فنهاه النبي ﷺ ولو أجاز له ذلك لاختصينا[2] .

وأخرج الترمذي الحكيم أبو عبد الله في نوادر الأصول عن سعيد بن المسيب قال : جاء عثمان بن مظعون إلى رسول الله ﷺ ، فقال يا رسول الله غلبني حديث النفس فلم أر أن أحدث شيئا حتى أذكر لك ذلك ، فقال له رسول الله ﷺ : « **وما تحدثك به نفسك يا عثمان ؟** » قال : تحدثني نفسي أن

---

(١) البخاري (٧ / ٢) ، ومسلم (٩/ ١٧٥ - ١٧٦) ، أحمد (٢/ ١٥٨) ، (٣/ ٢٤١) ، (٥/ ٤٠٩) ، والنسائي (٦/ ٦٠) .

(٢) البخاري (٧/ ٥) ، ومسلم (٩/ ١٧٦) .

قوله : (لاختصينا) الاختصاء من خصيت الفحل ، إذا سللت خصيته أي أخرجتها ، واختصيت إذا فعلت ذلك بنفسك ، وفعله بنفسه حرام ، فليس بمراد ، إنما المراد قطع الشهوة بمعالجة أو التبتل ، والانقطاع إلى الله تعالى بترك النساء ، أي لفعلنا فعل المختصي في ترك النكاح ، والانقطاع عنه اشتغالا بالعبادة . والنووي حمله على ظاهره ، فقال : معناه لو أذن له في الانقطاع عن النساء وغيرهن من ملاذ الدنيا لاختصينا لدفع شهوة النساء ، ليمكننا التبتل ، وهذا محمول على أنهم كانوا يظنون جواز الاختصاء باجتهادهم ، ولم يكن ظنهم هذا موافقا ، فإن الاختصاء في الآدمي حرام صغيرًا كان أو كبيرا ، وما سبق أحسن لما فيه من حمل ظنهم على أحسن الظنون فليتأمل . انتهى قاله السيوطي انظر : حاشية السيوطي على النسائي (٦/ ٥٨ - ٥٩) .

أختصى ، قال : « **مهلا يا عثمان فإن خصاء أمتى الصيام** »، قال : يا رسول الله فإن نفسى تحدثنى أن أترهب فى رؤوس الجبال ، قال : « **مهلا يا عثمان فإن ترهب أمتى الجلوس فى المساجد ، وانتظار الصلوات** » ، قال : يا رسول الله فإن نفسى تحدثنى أن أسيح فى الأرض ، قال : « **مهلا يا عثمان فإن سياحة أمتى الغزو فى سبيل الله والحج والعمرة** » ، قال : يا رسول الله فإن نفسى تحدثنى أن أخرج من مالى كله ، قال : « **مهلا يا عثمان فإن صدقتك يوم بيوم وتكف نفسك وعيالك ، وترحم المساكين واليتيم وتطعمه أفضل من ذلك** » ، قال : يا رسول الله فإن نفسى تحدثنى بأن أطلق خولة امرأتى وأهاجر ، قال : « **مهلا يا عثمان فإن الهجرة فى أمتى من هجر ما حرم الله عليه أو هاجر إلىّ فى حياتى أو زار قبرى بعد موتى ، وإن مات وله امرأتان أو ثلاث أو أربع** »، قال : يا رسول الله نهيتنى أن أطلقها فإن نفسى تحدثنى أن لا أغشاها ، قال : « **مهلا يا عثمان فإن الرجل المسلم إذا غشى أهله أو ما ملكت يمينه فلم يكن من وقعته ولد كان له وصيف فى الجنة ، فإن كان من وقعته تلك ولد فمات قبله كان له فرطًا وشفيعا يوم القيامة ، وإن مات بعده كان له نورًا يوم القيامة** » ، قال : يا رسول الله فإن نفسى تحدثنى بأن لا أمس الطيب ، قال : « **مهلا يا عثمان فإن جبريل أتانى بالطيب من الجنة غبًّا ، وقال : يوم الجمعة لا تتركه ، يا عثمان لا ترغب عن سنتى ، فمن رغب عن سنتى ، ثم مات قبل أن يتوب صرفت الملائكة وجهه عن حوضى يوم القيامة** »[1] .

فصل

قد بان لك يا أخى بما تقدم بهذا الباب ، وبما تقدم من الأبواب أنه ليس

---

(١) إسناده مرسل ، والمرسل من أقسام الضعيف .

من الزهد ترك المباحات ولا تحريم الطيبات .

قال الله تعالى : ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِى أُخرجَ لِعبَادِهِ والطَّيِّبات** ﴾[1] .

قال الله تعالى : ﴿ **يَاأَيُّها الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ واعْمَلُوا صَالِحًا** ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ **ولَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّة** ﴾[3] . الآيات فى هذا كثيرة .

فإن قيل : روى عن جابر أنه قال : اشتهى أهلى لحمًا فاشتريته لهم ، فمررت بعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال : ما هذا يا جابر ؟ فأخبرته فقال : أو كلما اشتهى أحدكم شيئا جعله فى بطنه أما تخشى أن تكون من أهل هذه الآية : ﴿ **أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا** ﴾[4] . قيل له : هذا عتاب من عمر له على التوسع فى الدنيا وابتياع اللحم والخروج عن جلف الخبز والماء كما رواه الترمذى عن عثمان وقد تقدم .

فإن تعاطى الطيبات من الحلال تستشرى بها الطباع وتستمر بها العادة ، فإن فقدتها استسلمت فى تحصيلها بالشبهات ، حتى تقع فى الحرام المحض بغلبة العادة ، واستشراء النفس الأمارة بالسوء ، فأخذ عمر الأمر من أوله ، وحماه من ابتدائه كما يفعله مثله .

وقد قال على رضى الله عنه حين أتى بالفالوذج : لا أحرمه ، أكره أن أعود نفسى مالم تعتد .

---

(١) سورة الأعراف : ٣٢ .
(٢) سورة المؤمنون : ٥١ .
(٣) سورة الرعد : ٣٨ .
(٤) سورة الأحقاف : ٢٠ .

قال القاضى أبو بكر بن العربى : والذى يضبط لك هذا الباب ، ويحفظ قانونه على الميزان ، يأكل ما وجد طيبا كان أو قفارا ، ولا يتكلف الطيب ، ويتخذه عادة ، فقد كان النبى ﷺ يشبع إذا وجد ، ويصبر إذا عدم ، ويأكل الحلوى إذا قدر عليها ، ويشرب العسل إذا اتفق له ، ويأكل اللحم إذا تيسر ولا يتعهده أصلا ، ولا يجعله ديدنًا . ومعيشة النبى ﷺ معلومة ، وطريقة الصحابة منقولة ، فأما اليوم عند استيلاء الحرام ، وفساد الحطام ، فالخلاص عسير فالله يهب الخلاص ، ويعين على الخلاص برحمته إنه ولى النذير ذكر المسألة التى هى كالتتمة للكتاب ، لا ينبغى تركها بل يجب فهمها وتعلمها ، وما للعلماء فيها ما روينا أن الإمام أبا عمر بن عبد البر رحمه الله حين بلغه أن أقواما بشاطئه عابوه يأكل طعام السلطان وقبول جوائزهم فقال :

قل لمن يذكر أكلى   من طعام الأمراء
أنت من جهلك هذا   فى محل السفهاء

لأن الاقتداء بالصالحين من الصحابة والتابعين ، وأئمة الفتوى من المسلمين من السلف الماضين هو ملاك الدين .

فقد كان زيد بن ثابت وكان من الراسخين فى العلم يقبل جوائز معاوية وابنه يزيد .

وكان ابن عمر مع ورعه وفضله يقبل هدايا صهره المختار بن أبى عبيد الله ويأكل طعامه ، ويأخذ جوائزه ، وكان المختار غير مختار .

وقال عبد الله بن مسعود ، وكان قد ملئ علما ، لرجل سأله فقال : إنى لى جار يعمل بالربا ولا يجتنب الحرام فى مكسبه ، يدعونى إلى طعامه أفأجيبه ، قال نعم : لك المهنأ وعليه المأثم ما لم تعلم بعينه حراما .

وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه حين سئل عن جوائز السلاطين فقال : لحم ظبى ذكى .

وكان الشعبى وهو من كبار التابعين وعلمائهم يؤدب بنى عبد الملك بن

مروان ويقبل جوائزه ويأكل طعامه .

وكان إبراهيم النخعى وسائر علماء الكوفة والحسن البصرى مع زهده وورعه وسائر علماء البصرة وأبو سلمة بن عبد الرحمن وأبان بن عثمان والفقهاء السبعة بالمدينة حاشا سعيد بن المسيب يقبلون جوائز السلطان .

وكان ابن شهاب يقبلها ويتقلب فى جوائزهم ، وكانت أكثر كسبه ، وكذلك أبو الزناد ، وكان مالك وأبو يوسف والشافعى وغيرهم من فقهاء العراق والحجاز يقبلون جوائز السلاطين والأمراء .

وكان سفيان الثورى مع ورعه وفضله يقول جوائز السلطان أحب إلى من صلة الإخوان ، لأن الإخوان يمنون والسلطان لا يمن . ومثل هذا عن العلماء الفضلاء كثير وقد جمع فيه الناس أبوابًا .

ولأحمد بن خالد فقيه الأندلس وعالمها كتاب ، حمله على وضعه وجمعه طعن أهل بلده عليه فى قبول جوائز عبد الرحمن الناصر إذ نقله إلى المدينة بقرطبة ، وأسكنه دارًا من دور الجامع ، وقربه وأجرى عليه الرزق من الطعام والإدام والنأمن وله ولمثله فى بيت المال حظ والمسئول فيه عن التخليط هو السلطان .

كما قال عبد الله بن مسعود لك المهنأ وعليه المأثم مالم تعلم الشىء بعينه حراما . ومعنى قول ابن مسعود هذا قد أجمع العلماء عليه ، من علم الشىء بعينه حراما مأخوذا من غير حله ، كالخبزة وشبهها من الطعام أو الدابة ، وما كان مثل ذلك كله من الأشياء المعينة غصبا أو سرقة أو مأخوذة بظلم بين لا شبهة فيه فهذا الذى لم يختلف أحد فى تحريمه وسقوط عدالة آكله وأخذه وتملكه ، وما أعلم أحدًا من التابعين تورع عن جوائز السلطان إلا سعيد بن المسيب بالمدينة ، ومحمد بن سيرين بالبصرة ، وهما قد ذهبا مثلا فى التورع، وسلك سبيلهما فى ذلك أحمد بن حنبل ، وأهل الزهد والورع والتقشف رحمة

الله عليهم أجمعين والزهد فى الدنيا من أفضل الفضائل ، ولا يحل لمن وفقه الله تعالى وزهد فيها أن يحرم ما أباحه الله منها ، والعجب من أهل زماننا يعيبون الشبهات ، ويستحلون المحرمات ، ومثالهم عندى كالذين سألوا عبد الله بن عمر رضى الله عنه عن المحرم يقتل الجراد والقمل فقال للسائلين له : من أين أنتم ؟ قالوا من أهل الكوفة ، قال : تسألون عن هذا وأنتم قتلتم الحسين بن على رضى الله عنه .

وروى ابن عمر عن النبى ﷺ قال : « **ما أتاك من غير مسألة فخذه وتموله** »[1] . وروى أيضا هذا الحديث عن ابن عمر عن النبى ﷺ : « **ما أتاك من غير مسألة فكله وتموله** » .

وروى أبو سعيد الخدرى وجابر بن عبد الله عن النبى ﷺ بمعناه ، وفى حديث أحدهما « **إنما هو رزق رزقكم الله** » ، وفى لفظ بعض الرواة : « **لا يرد على الله رزقه** » .

وهذا كله مركب مبنى على ما أجمعوا عليه ، وهو الحق فمن عرف الشيء بعينه أنه لا يحل . قلت : هذا آخر كلام أبى عمر رحمه الله ، وقد أشار الخطابى أبو سليمان فى كتاب المعالم له على شرح السنن لأبى داود عند كلامه على قوله عليه السلام : « **الحلال بين والحرام بين** »[2] إلى ذلك ؛ فقال آخر شرح هذا الحديث : ويدخل فى هذا الباب معاملة من كان فى ماله شبهة أو خالطه ربا فإن الاختيار تركها إلى غيرها ، وليس فى ذلك بمحرم علينا مالم يتيقن أن عينه حرام ومخرجه حرام .

---

(١) البخارى (٢/ ١٥٣) بمعناه ، ومسلم (٧/ ١٣٤) ، والنسائى (٥/ ١٠٤) ، (٥/ ١٠٥) ، وأحمد (٦/ ٤٥٢) .

(٢) البخارى (١/ ٢٠) ، ومسلم (١١/ ٢٧) ، وأبو داود (٣٣٢٩) ، والترمذى . (١٢٢١) ، والنسائى (٧/ ٢٤٢) ، وابن ماجه (٣٩٨٤) ، وأحمد (٤/ ٢٦٧ ، ٢٦٩) .

وقد رهن رسول الله ﷺ درعه من يهودى على أصوع من شعير أخذها لقوت أهله[1] ، ومعلوم أنهم يربون فى تجارتهم ، ويستحلون أثمان الخمور ، ووصفهم الله تعالى بأنهم سماعون للكذب أكالون للسحت ، فلا يحل لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحرم ما أحل الله من غير علم ولا بصيرة .

ومما يتعلق بما تقدم ويؤكده ويزيده تقريرا قول هشام بن عمار : جئت مالك بن أنس بالمدينة وهو جالس فى وسط فرش قد غرق فيها ، وعلى رأسه خصيان معهم المذاب يذبون عنه ، فقلت يا أبا عبد الله حدثنى ، فقال : أقيموه ، قال : فحملت من بين يديه ، فالتفت إليه ، فقلت : يا أبا عبد الله بالذى تسأله أن يرحم ذل موقفك بين يديه إلا ما رحمت ذل موقفى بين يديك ، قال : ردوه ، فحدثنى تسعة عشر حديثا رضى الله عنه .وقال الإمام أبو حامد دواء المآثر والمحامد فى كتاب منهاج العابدين له : فإن قيل فما يقول فى قبول جوائز السلاطين فى هذا الزمان : فاعلم أن العلماء اختلفوا فيه فقال قوم كل ما لا يتيقن أنه حرام فله أخذه ، وقال آخرون : لا يحل أن يؤخذ ما لا يتيقن أنه حلال ، لأن الأغلب فى هذا العصر على السلاطين الحرام ، والحلال فى أيديهم معدوم عزيز ، وقال قوم : إن صلات السلاطين تحل للغنى والفقير ، إذا لم يتحقق أنها حرام وإنما التبعة على المعطى ، قالوا لأن النبى ﷺ قبل هدية المقوقس ملك الإسكندرية واستقرض اليهودى مع قول الله تعالى : ﴿ **أَكَّالُون لِلسُّحْتِ** ﴾[2] .

وقد أدرك جماعة أيام الظلمة فأخذوا ، منهم أبو هريرة وابن عباس وابن عمر وغيرهم .

وقال آخرون : لا يحل من أموالهم شىء لغنى ولا فقير ، إذ هم موسرون

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سورة المائدة : ٤٢ .

بالظلم ، والغالب من حالهم السحت والحرام للغالب فيستلزم الاجتناب .

وقال آخرون : كل ما لا ينتقص أنه حرام فهو حلال للفقير دون الغنى ، إلا أن يعلم الفقير أن ذلك عين الغصب فليس له أن يأخذه إلا ليرده على مالكه ، ولا حرج على الفقير فله أخذها بلا ريب ، وإن كان من فىء أو خراج أو عشير ، فللفقير فيه حق ، وكذلك لأهل العلم قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : من دخل الإسلام طائعا وقرأ القرآن ، فله حله فى بيت مال المسلمين كل سنة مائتا درهم . وروى مالك بن دينار إن لم يأخذها فى الدنيا أخذها فى الآخرة ، وإذا كان كذلك فالفقير والعالم يأخذ عين حقه ، وقالوا : وإذا كان المال مخلطا بمال مغصوب ، ولا يمكن تمييزه أو غصبا ولا يمكن رده على صاحبه ، أو ذريته ، فلا يخلص للسلطان منه إلا أن يتصرف به ، وما كان الله ليأمره بالصدقة على الفقير ، وينهى الفقير عن قبوله ، أو يأذن للفقير فى القبول وهو عليه حرام فإذا للفقير أن يأخذ إلا عين الغصب الحرام فليس له أخذه . وقال أبو عبد الله محمد المالكى فى أحكام القرآن له : وأما أخذ الأرزاق من الأئمة الظلمة فلذلك ثلاثة أحوال :

الأولى : إن كان جميع ما فى أيديهم مأخوذا على موجب الشريعة فجائز أخذه ، وقد أخذت الصحابة والتابعون من يد الحجاج وغيره .

الثانية : وإن كان مختلطا حلالا وظلما كما فى أيدى الأمراء اليوم فالورع عدم الأخذ ، ويجوز للمحتاج أخذه هو خلص فى يده . قال مسروق : ومال جيد حلال قد وكله فيه رجل ، فجاء اللص يتصدق ببعض ما سرق إذا لم يكن معروفا بعينه ، وكذلك لو باع أو اشترى كان العقد صحيحا لازما ، وإن كان الورع التنزه لأن الأموال لا تحرم بأعيانها وإنما تحرم بجملتها .

الثالثة : وإن كان ما فى أيديهم ظلما حراما فلا يجوز أن يؤخذ من أيديهم ، أو كان ما فى أيديهم من المال مغصوبا غير أنه لا يعرف له صاحب ولا

مطالب فهو كما وجد فى أيدى اللصوص وقطاع الطريق ، تجعل فى بيت المال وينتظر طالبه بقدر الاجتهاد ، فإذا لم يعرف صاحبه صرفه الإمام إلى مصالح المسلمين قلت : هذا ما وقفت عليه فى هذه المسألة من أقاويل العلماء ، وكلهم مجمع على أن الشىء إذا تعين وكان حراما محضا لا يحل تناوله ولا أخذه ، وما كان على غير ذلك فالورع الترك . وقد قدمنا هذا المعنى فى الباب الثانى عشر بما فيه كفاية وزدناه بيانا فى هذه المسألة الموعد بذكرها هناك . والحمد لله على ذلك لا رب سواه ، ولا معبود إلا إياه ، سبحانه وتعالى ، ولله الحمد والمنة والشكر على ما أولى وأسدى من النعم ، والفضل على ما فهم وعلم ، وصلى الله وسلم على محمد عبده ونبيه ومجد وعظم . تم الكتاب بحمد الله وعونه والحمد لله رب العالمين اللهم صل على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون .

الفهـرس

الموضوع	الصفحة
الباب الثالث والثلاثون : ذكر فيه طرفا من زهد صحابته رضى الله عنهم .	٤٩
* تفنيد الشبهة التى دارت حول الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف .	٥٣
الباب الرابع والثلاثون : فى فضل من أخذ المال بحقه وأنفقه فى حقه والنماذج على ذلك .	٥٧
الباب الخامس والثلاثون : فى بيان قوله ﷺ : « **لكل أمة فتنة وفتنة أمتى المال** » .	٦٢
الباب السادس والثلاثون : فى حقارة الدنيا وهوانها على الله تعالى .	٦٤
الباب السابع والثلاثون : فى بيان الدنيا وفيما جعل مثلا لها .	٦٧
فصل : فى ضرب الله تعالى المثل فى الدنيا بالماء المنزل من السماء ببدائع تسع .	٦٨
الباب الثامن والثلاثون : فى أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر .	٧١
الباب التاسع والثلاثون : فى قوله عليه الصلاة والسلام : « **ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا** » .	٧٢
الباب **الموفى أربعين** : فى بيان قوله عليه السلام : « **من رغب عن سنتى فليس منى** » .	٧٤
فصل : ليس من الزهد ترك المباحات ولا تحريم الطيبات .	٧٥
جوائز السلاطين .	٧٧



رقم الإيداع ١٥٥٠ / ٨٨

هجر
للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان
المكتب : ٤ ش ترعة الزمر — المهندسين — جيزة
المطبعة : ٢ ، ٦ ش عبد الفتاح الطويل — أرض اللواء
☎ ٣٤٥١٧٥٦ — ص . ب ٦٣ إمبابة